

إمرأة بين عاطفتين

الحرية
للنشر والتوزيع
٢٦١٥٦٤٦ـ٥٧٤٥٦٧٩
٠١٢/٣٨٧٧٩٢١

روايات أحلامي

• روايات أحلامى سلسلة رومانسية

تصدر عن الحرية للنشر والتوزيع

تقـــدم...

«روايـــات أحلامـــى»

نهراً من الحب... الحب الذى يلون الدنيا

بألوان الربيع.. الحب حيث لا خريف أبداً..

الحب حيث الورود والرياحين..

حيث الحيــاة..

وروايات أحلامى... تُسهم بالحكايات عن زمن الحب

والأحبة فى هذا النهر الجارى والرائع «نهر الحب»

فتعالوا لنبحر فى نهر «أحلامى»

على أمواج الرومانسية.



لقاء تحت ضوء القمر

لماذا تزوجت من سيمون اصلاً؟

وحدقت غابريلا فى الحديقه المضاءه بنور القمر، وقد وضعت كوعيها على رف النافذه العريض، وصدر منها صوت نصفه نحيب ونصفه تنهيدة.

إلى مسافه قريبه، كانت التلال الجنوبيه مليئه بالنور من القمر الفضى الضخم الذى كان يضفى بهاؤه اللماع على الأراضى الريفيه. وخلف هذه التلال، كان البحر، وأحست بغربه فجائيه فى أن تذهب للبحث عن البحر، لأن تركض هاربه عبر البحر هذه التلال المليئه بالأحراج، وأن تصل الى البحر لتبحر فوق مياهه العميقه... إلى أى مكان... أى مكان فى العالم... طالما ستصبح طليقه متحرره من هذا المحيط المتصلب.

واستقامت فجأه، واستدارت لتنظر داخل الغرفه حيث ينام طفلها البالغ الرابعه من عمره.

هنا، تكمن مشكلتها. فلولا «جيري» ما من شئ كان سيقنعها أن تكون هنا فى منزل حماتها. ولولا جيري، لبقى هذا الزواج... الذى بقى سراً لخمس سنوات، سراً حتى الآن. فهى لم تكن ترغب أبداً فى أي مطلب من عائله سيمون...

وإذا لم تكن مستعده لأن تترك جيري لتلك العجوز التى أطفأت الأضواء فى غرفتها للتو فى الجهه المقابله للمنزل، فسوف يتوجب عليها قضاء ما يشبه الحكم المؤبدهنا.

وفكرت: ولكننى هكذا سأجن! وقد أفقد روحى المعنويه بالفعل. ولم أعد أستطيع رؤيه الوجه المرح من الحياه. وإنها واثقه أنها لن تضحك أبداً طالما هى تعيش فى قصر هارتبنغتون. ومع إنها تحب الجمال فى كل أشكاله وصوره، فهى لم تسطع الإعجاب بهذا الطراز القديم والتى ستكون يوماً لولدها وولد سيمون. ولقد سكن آل هارتنغتون هذا القصر منذ مئات السنين، ولكن أول من سكن من يدعى «سيمون هارتنغتون» هنا، حدث فى قصر المزرعه تغيرات

كثيره. وللعائله جذورها فى عالم الألقاب وخدمة العائله المالكه، ولكن منذ أجيال الأن أصبحوا حمله ألقاب، وإحدى هذه العائلات التى تفاخر بماضيها ونسبهاغير الملطخ.

ولكن، المالكه الأخيره لهذا القصر هى الزوجه الأخيره للمالك الأصلى، والتى تتفاخر بلقب «إيرل» لخال لها، متجاهله واقع أن لقبه هذا يصل بعد ثلاثه أجيال، ولكن، وبما إنها متكبره من الدرجه الأولى، تجد القناعه فى اللقب الذى توارثته.

وهنا، تصاعد فى ذهن غاي السؤال المأساوى عينه: لماذا تزوجت سيمون؟ لأنه أرادها يائساً، لإنه كان وحيداً وهى وحيده. ولإنها.. وخلال تلك الأسابيع القليله القصيره، وجدت الحب، ذلك المفتاح الذهبى لباب السعاده. ولكنها الأن، وبعد النظر إلى الماضى جيداً، تدرك أن حبها له لا يماثل حبه لها أبداً، فقد كان فى حبها كثير من الشفقه والحنان، وإنها إنما رعته كأم بالغريزة المسكين! لقد كان بحاجه إلى حنان الأم. ولقد عرفت، منذ وصولها إلى هنا ورؤيه السيده هارتنغتون، السبب.

لقد إعتبر سيمون فى عداد المفقودين فى الحرب، قبل

سنتين من إنتـهـائهـا ولم يثـبت واقع مـوته قـانونيـاً إلا منذ أسابيع قليله... ولم تستطع أن تخذل سيمون بعد موته، وعلى كل الأحوال، هل ستتمكن من التعويض لإبنها عما ستحرمه إياه من الميراث؟

تلك المرأه الأنيقـه البـارده ذات الشـعـر الرمـادى، والدة سيمـون، كانت ترعبها. كذلك فـهى تعلم أن خادمتها الخاصه «بيروسونز» والتى أمضت فى خدمه سيدتها أكثر من ثلاثين سنه، تكرهها أيضاً، وعلى الرغم من أنها تكلمها بأدب بأسم «أرمله السيد سيمون» فهى لم تستطع إخفاء إنزعاجها من الجريمه التى ارتكبها سيمون بجلب العار لأسرته فى زواجه من ممثله.

ونظرت غاي إلى ساعتها الذهبيه الصغيره، إنها تقارب العاشره والنصف، وعادة، هذا الوقت هو بدء ليلتها.... وفجأه قررت شيئاً.

سوف تخاطر.. فجيري لم يستيقظ الأن وربما تستطيع أن تمحو القلق عنها، وأن تتعب نفسها كى تستطيع التوقف عن التفكير لبضع ساعات.

وارتدت معطفها، وتوقفت للحظه لتنظر طفلها النائم. إنه يستلقى على جانبه ويضع يده تحت ساخره كما كان يفعل والده، إنه يشابهه بطريقه تفطر القلوب.

وبعد لحظات كانت تتجه بدون صوت نحو باب جانبى يقود إلى الحديقه، ولتصل إليه، كان عليها المرور من ردهه مربعه، مليئه بالظلال المربعه التى تسببها أشعه القمر المتسلله عبر النوافذ المقنطره العاليه الخاليه من الستائر، وتملكها شعور غير مريح بأن صور أسلاف زوجها المعلقه على الجدران المكسوه بخشب السنديان، تراقبها بكراهيه. وتلك البذله الحربيه المصفحه القديمه التى تقف فى أعلى السلم وكذلك واحده فى أسفله، أخافتها أيضاً.

وما إن وصلت الباب حتى فتحته، فأحدث صريراً خفيفاً. قالت من فوق كتفها وهى تحس بأن الصوت قدأيقظ المنزل كله. ثم خرجت...وأغلقته ورائهابهدوء، وأخذت تسرع الخطى فوق العشب ولم يخطر فى ذهنها أبداً، أن وراء هذه النوافذ الطويله المقنطره المظلمه، قد يكون هناك من يراقبها.

ولم يكن لدى غابريلافكره عن مدى سرعتها فى السير او

عن المسافه التى قطعتها. ولكن واقع أن الطريق الذى سلكته كان يتصاعد إلى الأعلى، أصابها بالمزيد من الإرهاق. وأصبحت الأن لوحدها، ولإميال لامتناهية حولها بدت الأراضى الريفية والتى ينيرها القمر وكأنها مهجوره تماماً. وجلست لتضع رقبتها بين زراعيها وتحدق أمامها، تاركة الهدوء والصمت يغوصان فى عقلها المتعب. ثم، وبعد اللحظات القليله الأولى، بدأ الشعور بالقلق، المتولد من هروبها من المنزل، يتصاعد. وبدلاً من السكينه، لم تعد تشعر بغير القلق، عقلياً وجسدياً.

ولم تكن قد بكت منذ شهور... فالبكاء ترفاً من النادر أن تسمح لنفسها به. فطبيعتها كانت من النوع الميال بالغريزه نحو الضحك، ولكن، كانت هذه المرة الأولى التى تسمح لنفسها أن تواجه الهزيمه، فقد تلاشت شجاعتها لمجرد تفكيرها بالسيدة هارتنغتون، بالإستقبال البارد الخالى من روح الضيافة الذى تلقاه فى منزل زوجهاوتدفقت الدموع إلى عيناها فجأة، وشقت نقطتان كبيرتان منها طريقها من بين جفنيها المغلقين، ثم تدحرجتا فوق خديها...

وعلى هذه الصوره، شاهدها «شيلتون لانديز» لاول مره ... كان يسير فوق مرجهالعشب الممتد، مستغرقاً فى أفكاره، عندما واجه دون سابق توقع، الفتاه الجالسه هناك تحت ضوء القمر، وخرجت منه صيحه دهشه .

– يا إلهي!.. ما هذا...!

سماع ذلك الصوت الجذاب المذهول قليلاً، فتح عيناغابريلا على وسعها فأدارت رأسها نحوه، وللحظات، حدقا ببعضهما صامتين.

وطالما هو حي... فسوف يحمل على الدوام ذكرى أول إنطباع عنها!

شيلي لانديز يعبد الجمال، وردة فعله إذاء الجمال على إمرأة، كان دائماً على شكل إعجاب فورى وطبيعى، وعندما إستفاق من صدمته الأولى سألها: – اخبريني... هل أنت تبكين لانهم طردوك من أرض العجائب.. أم أنت من البشر؟

وكان له أجمل صوت محكى! وشئ ما فيها أصغى إليه وكأنه الموسيقى... وذلك المرح وحب التوددفيها، والذى هجرها منذ بضعه أشهر، عاد جزئياً الى الحياه ثانيه وخرج منها

ليلتقى بنوعيه مماثله له والتى أحستها فى هذا الغريب وأجابته:

ـ أنا بشر متكامل ولكن فاض بى.

واستقامت فى جلستها لتمسح عيناها بيديها. كما يفعل الطفل تماماً.

ـ حسناً.. إذا كنت من البشر.. فأنت إنما تسعين وراء أسوأ «روماتيزم» فى العالم، والروماتيزم هو الشئ المسموح البكاء لأجله. هل فكرت مرة لماذا يوجد الندى فى هذه التلال؟

وأحست لأول مرة أن يديها مبللتان مبللتان من التصاقهما بالعشب المليئ بالرطوبه فهزت كتفيها:

ـ الأمر لا يهم...

وخلع معطفه وقال لها:

ـ لا تكونى سخيفة... إنهضى واجلسى على هذه

ـ لا... أرجـــوك.. فنحن فى آذار ولسنا فى حـــزيران وستصاب بالبرد.

ـ سيدتى.. لن تصدقى كم أنا قاس.

وفرد المعطف فوق العشب، واسنانه البيضاء تلمع فى

وجهها عبر ابتسامه:

ـ مدام.. أرجوك إجلسى!

ـ هل أنت السير والتر الفارس وقد عاد حياً مرة أخرى؟

وإتسعت الإبتسامه فوق فمها على الرغم منها. فضحك:

لا.. إنه فقط من إكتشف أميركاحيث ولدت.

ولكن غاي لم تكن قد خرجت سعياً وراء مغامره ما، فتراجعت قليلاً. فعندما يجد رجل شاب فتاه تبكى تحت ضوء القمريميل لأن يكون ودوداً، فمن الصعب التغلب على التقاليد، والوقوف لتركه وحيداً. إضافه إلى إنها، وعلى الرغم من إنها تعلمت كل شئ عن الرجال فى أقسى أنواع المدارس فى الحياة، إلا إنها لا تجد نفسها ناجحه فى دور المتغطرسة. بالطبع، يمكنها صفعهم أو القول لهم متى يتوقفون عند حدهم، إلا إنها لم تمل الآن لأن تفعل أى من هذا مع هذا الرجل والذى اصبح طوله الفارع نصف ممدوداالآن بقربها على العشب. ومع ذلك فقد حس إنها تراجعت قليلاً. فقال:

لا بأس عليك لن أكون.. متحذلقاً. ولكن هل تؤمنين بالقدر؟

ـ ليس كثيراً. إنه شئ يستخدمه الناس كعذراً لغبائهم.

ـ أنت تجلسين هنا وكأنك حورية ضوء القمر، ثم تقومين بتعليق ساخر كهذا... الحوريات لا يجب أن يكن ساخرات.. مع إننى أعترف أن الأسباب جيده...

ونظر إليها قليلاً، متساءلاً فى نفسه عما تفكر، مفكراً فيها وفى غرابه هذا اللقاء، ثم تابع:

ـ سوف ندعوا هذا اللقاء محض صدفه. فقد خرجت الليلة يتملكنى الضيق والكدر، والتقيت بك فقد فاض بك أيضاً.

ـ اعتقد ان الدنيا مليئه بمن فاض بهم، ألا تظن هذا؟ فالعديد من الناس يبدون غير سعداء... والحياه أمر غريب.

ـ ولكننى لا أظن أن عليك أن تكونى تعيسة.. لماذا كنت تبكين هنا فى وسط «المرتفعات الجنوبيه»؟ فلا يجب عليك أن تخرجى لوحدك فى مثل هذه الساعة.. فلربما إلتقيت بشخص أخطر منى بكثير.. فهناك بؤساء متجولون، وكل أنواع البشر.

ونظرت من حولها:

لا أرى أى أحد منهم. لقد سرت مسافه طويله.

وتساءل، لماذا يتملكه الشعور بأنه رآها فى مكان ما من قبل. وأحس بالإرتباك قليلاً، لأنه أحس إنه من الغباء منها أن تكون هنا فى هذا المكان المنعزل، ولوحدها. فسألها:

حسناً.. ماذا تفعلين هنا؟

أنا هاربة من «حماتى»!

وخرجت الكلمات منها دون تفكير. وكان هذا التصريح صدمه أكبر له. فهو لم يستطع أن يتصور أنها متزوجه فقال لها بصوت كسول ساخر:

هذا هو إذاً السر. أنت حقا الأميره الأصلية فى القصة الخرافية التى جستها حماتها الساحره الخبيثه فى قصرها القديم.

ولكن حماتى الساحره تكون أسعد لو تمكنت من طردى من قصرها! وللسخريه.. أن على أن أبقى!

ونظر إليها متفرساً، وقد تلاشت ألإبتسامه عن شفتيه.

إسمعى!... أنت «كنه» هيلين هارتنفتونالعجوز... أليس كذلك؟

وأجابت على السؤال بذهول:

ـ وكيف عرفت؟

ـ صديق لى.. الكولنيل سيمور، أخبرنى إنه يتوقع قدومك إلى هنا.

ولم يقل لها أن الكولنيل سيموركان قلقاً حول نوعية المقابلة التى ستتلقاها الأرملة الشابة هنا.. أرمله سيمون... هذه الفتاه الصغيره! ومرت سحابه غمّ فوق عين غبريلا:

ـ كولنيل سيمور إنه الوصي الأخر على جيري.

ـ ألم تلتق به بعد. إنه من النوع الطيب جداً.

وبدرت عنها حركه نفاذ صبر، ثم إنفجرت قائله:

ـ أنا كارهة! أكرههم جميعاً!إنهم لا يريدونى، وأنا لا أريدهم.أنا اللطخة فى هذة العائله.. زوجة سيمون الممثله!

وفجاه عرف أين شاهدها من قبل. فصاح:

ـ مسرح «التاج»! فى مسرحيه «الضربه فى الذقن» الثالثه الى اليسار من الصف الأمامي!

ونظرت إليه ثم قالت:

هذه أنا.. غاي برنت، المغموره بين صفوف الممثلين.

ذلك الأبن كذا وكذا...! وتملك شيلي غضب مفاجىء.. فهذه الفتاه تساوى مئه من ذلك الغالى سيمون...! الشيطان.. لم يكن عليه أن يصعب الأمورهكذا على زوجته بإخفاء سر زواجهما طوال الوقت.

أنا أعرف السيده هارتنغتون.. جيداً تقريباً. وإذا كان ما سأقوله يعزيك، فهى تكرهنى كالجحيم! وإذا كنت لا تعرفين كم أنا شرير وخطر، فستقول هى لك هذا!

وضحكت غبريلا بكل المراره التى تولدت فيها فى الأيام الأخيره.

ـ لا يمكن لها أن تفكر بك أسواء من تفكيرها بى. فمن الواقع أنها تؤمن أننى أوقعت سيمون فى شراكى ليتزوجنى. وفى البداية كان عليها أن تتأكد من إنه لم يتزوجنى مكرهاً، وليتك رأيت الطريقه التى كانت تقارن بها تاريخ على وثيقة زواجى بالتاريخ على وثيقه ولاده جيري. وكم بدا عليها خيبه الأمل. وأقول لك، إنها تحب جداً أن تجعلنى أترك جيري لها وأذهب وستقوم بما فى وسعها لو إستطاعت . ولكننى سأخذه وأهرب قبل أن تفعل بى هذا! والسماء وحدها تعرف كيف سأتمكن من البقاء فى بيت الأشباح هذا... حتى ولو من

أجل إبني.

لو أن أحد قال لها قبل أن تخرج إلى هنا، إنها ستجلس على العشب وسط هذه المرتفعات الجنوبية، لتقص مشاكلها على رجل لم تكن تعرف بوجوده منذ ساعة، لما صدقت الأمر.

ولم تكن تعرف ولا تشك، كم كانت بحاجة لأن تتكلم مع أى شخص كان. إنها تعرف فقط أن الرجل الجالس بجانبها يتفهمها، وإنه أول شخص إلتقتةمنذ وصولها إلى قصر هارتنغتون. ولم تلاحظ أنه، وخلال حديثها قد أمسك بيديها بقوه ورقه.. مع إنها تحس بشكل غريب ، بالراحة فقد أحست إنه إنسان، ويفهم.

ـ لقد كان جيري تعيساًلوحده هنا بدوني. ولكن، أعتقد أن الأطفال ينسون مع الوقت... وإذا تركتة مع جدتة سوف ينساني.. ولكنه كان مريضاً طوال الوقت الذى غبتة عنه.

ـ لن تتركيه... أتدعين تلك العجوز الشمطاء تحصل على ما تريد؟ لا تكونى سخيفة. إنتظرى عوده الكولنيل، وستكونين بخير، فهو رجل مستقيم، ويستطيع التعاطى مع تلك ألسيده! إنه مدير المالية للأملاك، وثانى الأوصياءعلى الولد.

– هذا يتعلق بأمر الوقف والميراث.. مع إننى لا أعرف ما هو الوقف! ولكننى أعرف أن السيده هارتنغتون والكونيل لديهما الحق فى تدبير أمر تعليم جيري وما شبه من أمور.

وعبر الصمت القصير بعد كلامهما، دقت الساعة من مكان بعيد. فجفلت بعنف، وسحبت يديها النحيله التى كان شيلي يتفحصها:

إنها ليست الساعه الواحده؟ يا إلهى! لقد توقفت ساعتى!

– أجل... إنها الواحده.. هل يعلمون أنك فى الخارج؟

يا للسماوات! لا.. لقد تسللت من الباب الجانبى... وأظن إننى إبتعدت أكثر مما أعتقد.

– أنت على بعد ثلاثه أميال من القصر... ومنزلى هناك... على بعد نصف ميل.. الأفضل أن تأتى معى، وسأخرج السياره لأعيدك إلى القصر.

– ولكنهم قد يسمعون صوت السياره. اوه. يا إلهى أرجوا أن لا يكون أحد قد إفتقدنى.. أو أن جيرى قد إستيقظ!

وأحست بالرعب فجأه:

ـ خادمه السيده تلك، أنا واثقه إنها تكرهنى. هى تظن إننى إمرأة سيئة أوقعت سيمون فى حبائلها... كما تظن أمه تماماً...

ـ بير سونز.؟ إنها وسيدتها زوج رائع. ولابد إنها ستجن من غيرتها منك. لقد كانت مع العائله منذ سنوات وسنوات... إنها نوع من التحف الأثريه يمكن الإستغناء عنها!

وساعدها للوقوف. ووقف ينظر إليها، فقالت:

سوف تتركينى أوصلك، وسوف تحبين هذا. ولا تخافى، لن أقترب بالسياره كى يسمعونى.

وهكذا أزعنت وسارت معه، ثم إنتظرت إلى أن أخرج السياره. وكانت مسافة قصيره، ولكن خلالها، وجد وقتاً يكفى. ليقول لها شيئاً عن نفسة. وعرفت إنه جاء من فريجنيا، مع القوات الأمريكية، ليقاتل فى الأراضى التى تمتد اليها جذور عائلته الأصليه، وحيث، فى بدايه الحرب، كان لا يزال على إتصال بهم. ولقد ورث عن إبن عم بعيد له، كان على الأرجح أخر السلالة، أملاك «سوسيكس» حيث يعيش الآن. وهو يعود إلى أميركا متى كان مزاجة، أو عمله، يستدعيه،

تاركاً على الدوام، كما قال لغبريلا، جزءاً من قلبه فى هذه المقاطعة الإنجليزية الساحره. وعندما وصل قال لها:

سأسير معك لأوصلك سالمه. ليس هناك من مخلوق فى الجوار، ولكنى أود التأكد بنفسى من رؤيتك سالمه داخل المنزل.

وسار بسرعة نحو المنزل، وبدا أنه يعرف طريقه جيداً. فقد توجه رأساًإلى باب الحديقه الجانبى.. وأحست غبريلا بإحساس فظيع لعودتها الى السجن، ومدت يدها، وقالت بصوت مرتجف:

– تصبح على خير.. وشكراً مليون مره.

– تصبحين على خير.. يا غاي.

وأخذ يدها، ولكنه أحس، بهشاشة حياتها بوحدتها. فترك يدها ووضع كلتا يديه على كتفيها. وقال مزحاً.

– إصمدى يا فتاة!.. سيكون كل شىء على ما يرام.

– بالطبع.. سوف أعتاد على هذه الحياه.

– عظيم.. و... سأسعى لرؤيتك.

ـ أتمنى هذا، وشكراً لك ثانية.. وكثيراً.

ـ ولماذا؟ ألأنك بكيت بصوت مرتفع!

ـ لقد كنت لطيفاً معى...

ـ ومن يستطيع، عدا تلك العجوز المشاكسة، أن لا يكون لطيفاً معك؟أنت جميلة...

ثم.. وحتى قبل أن يعرف ماذا يريد أن يفعل... وربما إنه على الدوام كان مغامراً، ولأن هذا يكون نهاية أوبدايه مغامره... جذبها إلية أو أحنى رأسةليقبل خدها ولقد كانت وحيده.. وكانت جميلة، والفتيات الوحيدات والجميلات يجبرنك أن تحبهن.. قليلاً.. وربما بشكل خفيف.

وبالتاكيد بدأت قبلته خفيفة.

وأعادتها له خفيفة.. للعرفان بالجميل لصداقتة... وهى، التى لم تلامس شفتاها رجل ماعدا زوجها ولمدة سته سنين أو أكثر.

ولكن ملمس بشرتها الناعمه الجميله تحت شفتيه ذهبت رأساً إلى رأسةليحس بالدوار. فقال لها بصوت مرتجف:

العسل قد يلسع.. ولكنك حلوه... أرجوك يا غاى لا

تتحركى. وضمها إليه بقوه، أكثر فأكثر، فاشعل قربه منها لهيباً أخذ يتصاعد ليلتقى مع لهيبه. إن فيه شيئاً تحتاج إلية، وأحست كما أحس هو تماماً. فى اللحظات المشتعلة... بعمق وحدتها. وقال لها هامساً:

أنت جميله جداً، حبيبتى.. حبيبتى! أنت رائعة...

ولفتره تعلقهمابيعضهما فى تلك العتمة العابقة بأريج أجواء الريف، فقد الإحساس بكل شىء، ماعدا ذلك الإحتياج اليائس.

وسمع شيلى صوتاً خلف الباب الموصد الذى يقفان جانبة، فترك غابريلا بنفس السرعة التى ضمه فيها.

وكانت اللحظة المناسبة.. فما كادت تتراجع، نصف دائخة ومقطوعة الأنفاس... لتسند جسدها على عمود الباب النصفى، حتى فتح الباب، ووقفت فى الضوء المنبعث من الداخل«بيروسونز» خادمة السيده التى تعرف غابريلا بالغريزه إنها تكرهها.

وهى الشخص الرئيسى الذى كانت ستختار تجنبة فى مثل هذة الظروف...

وشهقت غابريلا... ولكن تصرف شيلي كان رائعاً... فما أن استعاد قدرته على الرؤيا بعد الضوء الفجائي الذى بهر نظره حتى سارع لتسوية المسألة؛ وقال بهدوء:

آه... بيرسونز. أنا سعيد لأنك مستيقظة، فالسيدة سيمون قد خرجت لتتمشى وأضاعت طريقها، وصدف أن كنت ماراً بالسيارة وتمكنت من إيصالها.

ـ أجل يا سيدى... لقد سمعت أصواتاً، ونزلت لأرى ما إذا كان هناك لصوص.

واستدار إلى غابريلا ليقول لها بأدب:

ـ ستكونين على مايرام الآن، سيدة سيمون.

ـ اوه.. أجل. وشكراً لك على. على إيصالك لي. عمت مساء.

وتلامست يديهما بسرعة، ودخلت المنزل. وبقيت بيرسونز ممسكة بالباب، فقال لها شيلي بصوت لا طعم له:

ـ لحظة من فضلك يا بيرسونز. أريد أن أكلمك...

وسارعت غابريلا إلى غرفتها.. وكان عليها أن تفكر بالمأزق الذى أفلتت منه، ولكن هذا الأمر تجاوز تفكيرها، فدخلت الغرفة وأقفلتها خلفها، ثم ألقت نظره على جيري لتجده يغط فى النوم وفى نفس الوضع الذى تركته فية.

وجلست على المقعد المريح الكبير، ومررت يدها على وجهها، عيناها لا زالتا غارقتان فى تلك النظره الحالمة البعيدة التى أحست بها وهى بين ذراعى شيلي لانديز.

وغطت وجهها، وتحس بضربات قلبها المتسارعة غير المتناسبة، وبشفتيه الحارتين اللتين أيقظتا فيها شيئاً لم يتحرك من قبل. وواجهت الآن هذه الحقيقة، وعلمت، بخوف، بأنها، للأفضل أو للأسوأ، قد سلمت جزءاً من كيانها لم تقارب فى حياتها أبداً أن تتخلى عنه، إلى شيلي لانديز. لقد كانت زوجه وأماً... ولكنها الآن استيقظت بالكامل.

واستلقت بثيابها فوق الفراش، ونامت على الفور، دون التفكير بالغد، بهدوء وسكينة كما ينام الطفل في السرير الأخر.

واستيقظت؛ مع ذلك، باكراً، ونظرت إلى الساعة لتجد أن أمام جيري ساعة بعد ليستيقظ. وواجهت واقع أن هذا اليوم سيكون أسوأ من يوم أمس، فلو اخبرت بيرسونز السيدة بأن غاى كانت فى الخارج، وهذا ما لم تشك فيه، فستكون السيده غير سعيده.

ولكن لماذا قد تهتم؟ لم تفعل شيئاً مضراً. وإستفاق جيري، وأسرع الى سرير أمه، كان يحب أن يندس الى جانبها ليعود الى نومه، ولكنه اليوم إستلقى الى جنبها وأخذ ينظر إلى اشعة الشمس وهى تتصاعد على الجدار المقابل.

وقدم الفطارلغبريلا وجيري فى غرفة الجلوس الملحقة بغرفه نومها، لقد كان جناحهما جميلاً يطل على الحدائق.. ومع أن اذار كان فى اوائله، إلا أن الطقس كان دافئاً وكأنة الربيع... وتدفقت أشعة الشمس من النوافذ المفتوحة وأخذ النسيم العليل يتلاعب بالستائر.

ولم يظهر أثر لسيده المنزل أو لخادمتها... وقدمت لهم الطعام فتاه ريفيه قالت ان اسمها اليزابيت، وإنها لم تمض الكثير في خدمه القصر وأن السيده فالكون، مدبره المنزل، هي عمتها.

وأحبت غاي الفتاه، وبدا لها أن الفتاه تبادلها نفس الشعور. فها قد وجدت أخيراً، وهنا، شخصاً لا يميل إلى الكراهية والإنتقاد. وعندما حضرت إليزابيت لأخذ الصحون قالت:

ـ ستكون السيده هارتنغتون مشغوله لساعة اخرى.. وتحب أن تراك في المكتبه عند العاشره. ساتولى أمر العناية بالسيد جيرالد الصغير.

ـ تعنين عندما اكون مع السيده هارتنغاتون؟

ـ أظن بشكل دائم سيدتي... سأخرجه واعتني بثيابه وكل شئ. أنا أحب الأطفال كثيراً، وامضيت سنه اعمل كممرضه وسأعتني به جيداً. وربما سيوافق على الخروج معي هذا الصباح. نستطيع الذهاب الى مزرعه السيد جيرالد، هناك ابقار وجياد، وجراء كلاب مولوده حديثاً...

وقاطعها جيري ببهجة:

ـ سأحب هذا.. جراء... ولكننى أدعى جيري وليس.السيد جيرالد.

تطلعت الفتاتان ببعضهما وضحكتا، وقالت غاى:

لا بأس فى هذا... اذهب مع اليزابيت الآن.

ولكن ألن تأتين معنا؟

لا يا حبيبى... سوف أبقى لأتحدث مع جدتك. ربما تمكنت من المجئ لألقاك.

وتذكرت فجأه ما حصل ليلة امس، لنفترض أن والده سيمون قد ظنت أسوأ الإحتمالات حول غيابها.. فهل ستصر على أن تذهب؟لا تستطيع فعل هذا... «ولن أذهب»! أضف الى ذلك، أن هناك الآن شيلي!

وماذا سأفعل؟ لو بقيث هنا سأختنق...! ولو ذهبت... ولكننى لا أستطيع الذهاب لأننى سأضطر هكذا أن أترك جيري، وهذا ما لن أفعلة!

وشاهدت ظلاً يقاطع اشعة الشمس أمامها، فرفعت رأسها

بسرعة، ظانه أنها السيده هارتنغتون، ثم أدركت إنها تواجه شخصاً غريباً.. رجل طويل يرتدى بذلة رمادية خفيفة دون قبعه وشعره اسود يخالطة بعض الشيب، وقف ينظر اليها بعينين مرحتين رماديتين.

وابتسم لها، وقال بصوت ناعم مرح:

– أنا أسف لأجفالك. لقد قالوا لى إنك فى مكان ما هنا، وأتيت لأتعرف عليك. أنت غابريلا؟ إسمى سيمور...

ومدت له يدها وهى تقول:

لقد كنت أظن أنك مسافر.

– كنت مسافراً، ولكننى عدت سريعاً. وأنا أسف جداً لأننى لم أكن هنا لإستقبالك عند وصولك.

– وهل كنت سترحب بى! قد يكون هذا امراً.. غريباً.

وقال الكولنيل بسرعه:

– أتمنى أن لا تكونى قد وجدت نفسك غير مرحب بك فى منزل سيمون وفكر فى نفسة:يا إلهى! يجب ان تحس هيلين بالسعادة لوجود فتاه مثل هذه معها... فهى لا تشابه اى

وصف ظناه بها. وقالت غابريلا:

ـ لم يكن علي أن اقول هذا. ربما من الطبيعى عند السيده هارتنغتون أن...

ـ لنجلس معاً لبضعة دقائق... أتسمحى؟

ـ يجب ان أذهب لمقابله السيده عند العاشره..

ـ أمامنا أكثر من عشر دقائق. انظرى.. اتمنى عليك ان تكونى صبوره مع هيلين.. كانت تحب سيمون لدرجه العباده.. وسأكون صريحاً معك، فليس امامنا وقت طويل.. لم تكن تتوقع منه أن يفكر بعيداً عنها.. وبالطبع، لدى إكتشافها انه متزوج سراً طوال هذه السنوات... حسناً، لقد كان الأمر مزعجاً لها.

ـ اعلم هذا.. فقد كان سيمون يخاف من امه.. فهى متملكة.. وعندما ابتعد عنها.. احس بالحريه. لقد كان... وانا لا أقول هذا لأدافع عن نفسى.. سكيراً عندما التقيتة.. والعديد من الشبان كانوا هكذا، بسبب مشاق الحياه والحرب. فلم يكونوا ليعرفوا إذا سيبقون احياء الليله المقبله. ولم اكن ارغب فى الزواج منه دون علمها، ولكن لو لم اقبل

بالزواج منه، لم اكن لأدرى ماذا كان سيفعل.

وهوَ يصغى اليها، كان يقيم الفتاه التى تتحدث بكل خبره الرجال والنساء التى علمتها الحياة له، وهكذاتوصل الى قرار: لو كان لاى امرأة ان تجعل من سيمون رجلاً حقيقياً، فهذه هى الفتاه القادره، انها حقيقيه، على المسرح او دونه.

وفى الوقت الذى كانايعودان فيه الى المنزل ثانية، اكتشفت غابريلا انها قد وجدت صديقاً آخر. واصبح لدى ادوارد سيمور التصميم بأن لا تكون ارمله سيمون الشابه البائسه فى هذا المنزل الذى هو الآن منزلها.

وكانت غاى قد نسيت تخوفها من مقابلتها لحماتها، ولكن وهما يقطعان الردهةباتجاه المكتبه تذكرت ما هو على الأرجح بانتظارها، وغاص قلبها.

كانت السيدة هارتنغتون تجلس فى كرسى عالى الظهر قرب النافذة.. وفى الخامسة والستين من عمرها، كانت لا تزال أمرأة جميلة.. ففى الواقع، لم يؤثر على حياة هذه المرأة سوى عاطفة واحدة هو حبها لولدها، ولو أن هذه العاطفة كان مقدراً لها أن تكون كبقية عواطف البشر، لكانت حياة

سيمون هارتنغتون مختلفة تماماً.

وما أن دخلت غاي مع الكولنيل، حتى أستدارت السيدة، وعلى وجهها قناع بارد. ثم ولرؤيتها إن «كنتها» ليست لوحدها، تصاعدت دهشة غير مريحة على وجهها.

ـ آه... إدوارد! لم أعلم إنك عدت.

ومدت له يدها، فانحنى فوق اليد النحيلة المليئة بالخواتم:

ـ لقد أنهيت عملي بأسرع مما توقعت. لقد كنت أتعرف بغابريلا... لا أستطيع حقاً أن أناديها السيدة سيمون.

فردت عليه غاي مبتسمة:

ـ أرجوك لا تفعل... صباح الخير سيدة هارتغنتون.

ـ وردت العجوز دون أبتسام:

ـ صباح الخير.

ثم ألتفت إلى الكولنيل:

ـ أنا مسرورة لعودتك يا إدوارد. لقد أتت غابرية بجيرالد إلى هنا يوم الثلاثاء.. إنه مسؤليتك كما هو مسؤليتي. وبما إنك، من الطبيعي، أن ترغب في أن يربى كولد سوف يملأ

المركز الذى يجب عليه أن يملأه، فأنا أشعر بأنك عندما تسمع عن الظروف، سوف توافق على ما سأقوله لأرملة سيمون. ونظرت مباشرة إلى غبريلا وقالت ببرود:

- لا أعتقد أننى بحاجة الى طلب تفسير لتصرفك ليلة امس. ولا اتوقع انك ستندهشى عندما اطلب منكى مغادره منزلى اليوم.

واتسعت عينا غاى، وتلاشى اللون من وجهها. ثم قالت:

- ولكن لا يمكنك فعل هذا.. لا يمكنك ابعادى عن جيري. ولم افعل شيئاً لأستحق هذا العقاب.. أرجوك..

وقطعت كلامها عندما فتح باب المكتبة ودخل الخادم الرمادى الشعر ليعلن:

- السيد شيلتون لانديز هنا سيدتى، ويرغب فى رؤيتك لبضع دقائق فى...

وقبل ان يكمل، ازيح جانباً، ودخل شيلي لانديز الغرفة. وتقدم ليقف على بعد اقدام من حيث وقفت السيده هارتنغتون شاحبه الوجهه من الغضب؛ وهى تقول:

ـ كيف تجرؤ...

ـ اسف لإقتحامى الغرفة عليك هكذا، واؤكد لكى اننى لا أتوقع منك حماسة الإستقبال.. ولكننى جئت لأشرح ما حدث ليلة امس، فأنا لا اشك بأن بيرسونزقد اعطتك القصة من وجهة نظرها، وهذه القصة، ولكى اوفيها حقها، لابد ان تكون خرافيه.

وردت عليه السيدة هارتنغتون بغضب:

ـ وجودك هنا غير ضرورى، وكذلك تفسيرك.

ـ آسف، فهذا موضوع آخر لا نتفق عليه. صباح الخير كولنيل. أنا سعيد لوجودك هنا وأن ترى اننى بطل لفضيحة، فقد حدث شيء مؤسف ليلة امس.

فقد كانت السيدة سيمون تتمشى واضاعت طريقها بين التلال... وكنت محظوظاً لأن أجدها، وبما. أن الظروف لا تناسب سيده أن تسير لوحدها فى الليل، فقد أخذت حريتى فى ايصالها الى المنزل. وصدف ان خادمة السيدة هارتنغتون كانت مستيقظة، وككل السيدات المحترمات، سارعت الى التفكير بسوء. لذا فكرت أن احضر لاشرح ولأوضح بأن

السيده سيمون وأنا لم نلتق ابداً قبل الليلة الماضية، وإننا لم نكن على موعد بعد منتصف الليل، ومن المؤسف تخييب امل بيرسونز..

وقاطعتة السيده هارتنغتون صائحة:

ـ لا أصدق كلمة من هذا! لماذا وأنتما لم تتقابلا من قبل حاولت رشوة بيرونز لتبقى صامتة؟

وتغير لون شيلي قليلاً:

ـ من الطبيعي ان تقول لك هذا.. لقد كان نبلاً منها أن ترفض الخمسين جنيهاً! آسف..

والتفت الى غابريلا

ـ كنت اعلم انهم سيظنون السوء بك، وفكرت ان رشوتها قد تبقيها صامتة.

ـ شكراً لك..

ونظرت الى الكولنيل سيمور:

ـ هذا صحيح تماماً.. فنحن لم نلتقى ابداً من قبل.. لقد كنت يائسة وخرجت لأتمشى.

فرد عليها.

ـ هذا امر مفهوم بما فيه الكفاية.. انظرى هنا يا هيلين.. ألا تظنين ان من الأفضل لنا، انت وأنا، ان نناقش المسألة؟

ـ لا شيء لنناقشة. فهذا منزلى، وانا حاضنة حفيدى الشرعية، وانا ارفض السماح لنفوذ هده المرأة السئ ان يدمر اخلاقة.

ـ وأنا أيضاً وصى على جيرالد. غابريلا.. لانديز... هل تسمحا بتركنا لوحدنا؟

وأخذ بزراع غاى بلطف. وقادها نحو الباب، وبعد لحظة وجدت نفسها فى الردهة وإلى جانبها شيلي. وما ان اغلق باب المكتبة حتى استدارت إليه:

ـ شكراً لمجيئك... أنا...

وترقرقت عيناها بالدموع، فأدارت وجهها بسرعة عنه. فأمسك بزراعها واشار الى باب مفتوح فى مواجهتها.

ـ لندخل الى هناك.

وكان شيلي على يقين بأن عليه أن يغادر المكان على

الفور، فبقاؤه قد يعقد الأمور أكثر.. ولكن ربما تكون هذه المره الأخيره التى يراها فيها.

ومدت يديها إليه بيأس:

– اوه.. شيلي! لا يمكنهم اخذ جيري مني...

– بالطبع لن يفعلوا. وسوف يتدبر الكولنيل الأمر.. وسترين.. سينتهى الأمر على ما يرام.

وامسك بيديها، وضغط عليهما، ثم تركهما وابتسم:

– على كل الأحوال السيده العجوز تؤلف قصة حول لا شيء. وليس لديها اى امل فى إثبات إنك لست صالحة لرعاية طفلك، إذا كان هذا ما تسعى إليه. والآن، سأذهب. لقد كان رائعاً أن ألقاك.. وحتى ولو لمعرفة قصيره الأمد.

– وهل أنت مسافر؟

– على الأرجح... ولكننى أعيش بعيداً عنكم بمسافة ثلاثة اميال، وطالما انت لا تخرجين للتجول بعيداً، فلن تحتاج السيده من التخوف من ان نلتقي.. لقد قلت لك عن رأيها بى.. ولكن ما قلتة هو نصف الحقيقة، كما تعلمين الآن.

ولاحظ الدهشة فى عيناها، فقال برقة:

ـ انظرى يا غاى. كنت احب لو اعرفك عن كثب لمده اطول. ولكن من الأفضل ان هذا لم يحدث. وهناك عده اسباب، وسيصعب هذا الأمر عليك... ولهذا اشكرك كثيراً.. ووداعاً..

وأخذ يدها ثانية ليرفعها الى شفتيه، ثم خرج بسرعة. كم كانت غبية! بالطبع.. قبله تحت ضوء الشمس لا تعنى شيئاً. الرجال هم الرجال، والمرأة الجميلة تتعرض دائماً لأن تستهويهم.

واستدارت مكتئبة، تعض شفتها بقوة.. لقد كان نبلاً منه أن يأتى. ولم يكن ليلام.. فهى لوحدها الغبية.

ولكنها لم تشعر بأنها وحيدة هكذا فى كل حياتها.

بدايات الحنين

خلال الأسابيع القليله التى تلت، كان لغبريلا فرصة لأن تستقر تماماً فى محيطها الجديد، ولأن تعرف انها على الأقل قد وجدت صديقاً لها فى حياتهاالتى بدأت تتغير بشكل غريب.

وبدأ الكولنيل سيمور على الفور بتسوية بعض الأمور مع السيدة هارتنغتون ولم تعرف غابريلاأبداً ما حصل فى هذا اللقاء، بين الكولنيل وحماتها. ولكن يعد يذكر أى شىء عن مغادرتها القصر، والأرملة العجوزأبقت على التهذيب البارد معها.

فى احد الأيام المليئة بالغيوم وأشعة الشمس معاً، بعد ان سببت الرياح الجنوبية ظلالاً تتحرك فوق الأرض الريفية

الجنوبية، خرجت غاي لتسير الى القريةالتى تبعد ميلين عن القصر. فقد كانت تحتاج لشيء ما وبإمكانها التسوق دون تسرع فى العوده، بعد أن لازمت السيدة الفراش لرشح اصابها.

«أمورث» قريه جميلة، احدى اجمل قرى التلال الجنوبية. مدخلها كناية عن شارع طويل ملتوى يبدأ بكارج«ثورنوتن» وكانت المنازل الريفية تنتشر على جانبى الطريق بعضها مشاد من الخشب وكلها عتيقة، إلى أن يتسع الطريق ليشكل نصف مربع.. فى مقابلته تماماً «قصر النصر» الذى قدمه والد سيمون للبلده بعد الحرب العلمية الأولى، حيث يباع فية الآن معظم الأشياء من دبابيس الشعر والبقالة إلى الأدوات الحديدية.

ودخلت غابريلا الى مركز البريد ولراحتها وجدت انها الزبونة الوحيده هناك، فاشترت ما تريد، وتبادلت الحديث مع ايمى كوكسن، موظفة البريد هناك.

إيمى كانت سعيدة ذلك اليوم لأن ممثلها المفضل تلقى وسام الفارس. فهل تعرفة السيده سيمون ياترى؟ اولا تظن

إنه رائع؟ وردت غاي مبتسمه:

ـ لا.. لم أقابله من قبل. وأجل. إنه ممثل ذكى بارع.

وعندها تماماً، فتح باب المحل ودخل شيلي لانديز. وكان في منتصف طريقة إلى المكتب عندما شاهد غابريلا، فوقف مصعوقاً:

ـ مرحباً!

ـ اوه.. مرحباً!

وتصافحا مبتسمين، وهما مدركان تماماً للأهتمام الذى ظهر على وجه كوكسن.. والتفت شيلي اليها:

ـ نهارك سعيد سيده كوكسن.

ـ نهارك سعيد سيد لانديز. لقد احضر جورج تلك العلبةالتى طلبتها وسوف يأخذها إليك معه عندما يمر ناحيه منزلك.

ـ شكراً كثيراً. لقد صدف حضورى الى القرية وظننت ان بإمكانى أخذها بنفسى وأوفر عليه الإزعاج.

ـ لا إزعاج بالمره، انا واثقة إنه سيكون مسرور بزيارتك.

ـ هذا لطف منك.. سأشترى دفتر طوابع بعد إنتهاءك من

خدمة السيده سيمون.

وجمعت غابريلا مشترياتها ووضعتها فى حقيبتها قائله:

– ما على سوى دفع ثمن اغراضى.. شكراً.

ولم يعى شيلى ان موظفة البريد تحدثة، وهو ينظر الى غابريلا، إلا بعد ان قررت سؤالها:

– أتريد الطوابع من فئة الربع أو النصف شلنغ سيد لانديز؟

– أرجوك عذرك.. أوه.. من فئة الخمسة شيلنغ.

وودعت غاى إيمي، وتوجهت نحو الباب، فلحق بها ليفتحه لها. وسألها:

– هل بإمكانى إيصالك؟

ولم تسمع إيمي الرد. ولكن بعد بضع دقائق كانت تنظر إليهما عبر زجاج النافذة يبتعدان معاً فى السياره.

حتى اليوم، قرار شيلي بعدم رؤية غاي كان صامداً. وبينما كان يقود سيارتةالرولز ذات المقدمة الطويله، التفت إليها ليسألها مبتسماً:

ـ حسناً.. حسناً كيف حال بيرسونز؟

ـ إنها مؤدبة كوعاء السم قبل فتحة. أنت تعلم إنه لا يجب أن...

ـ أن تكونى فى سيارتى؟ ما هذا الهراء!

ـ بالطبع هو هراء. ولكن اعتقد ان الأمر سخيف فى أن نثير عش الدبابير علينا مره اخرى.

ـ وهل كانت الدبابير اقل حركة؟

ـ كثيراً، فقد اجبرها الكولنيل سيمور أن تخفى أزيزها، على ما اعتقد.

ـ الكونيل سيمور؟ هل هو لطيف معك؟

ـ بل رائع تماماً.. لقد كنت محقاً وكنت أنا مخطئة. إنه... حبوب.

فضحك شيلي.

ـ وهل اخبرته بهذا؟

وأحس بؤخزة ما..فهل هى الغيره؟ وضحكت غابريلا:

ـ بالطبع لم أخبره. ولكن ألا تظن إن له معرفة بالسحر كى يستطيع تقييد «تنين» مثل السيدة هارتنغتون؟

ـ أظن إنها لو كانت لتحترم أحداً فهو نيد سيمور إضافة إلى أنه رجل ثقة، ولديه سلطة كبيرة بين يديه.. أخبريني هل انتهت المعركة إذاً؟

ـ لا.. مجرد هدنة.. إنها لاتزال تشعر بالسقام كلما شاهدتني.. وستبقى هكذا دوماً.

ـ لن يمكنها أن تعيش إلى الأبد.

ـ اوه.. ولكنني لا أريدها أن تموت..

ـ لاتصدمي هكذا. فأنا واثق إنك لا تريدين الموت لها. وهي لن تستسلم له بسهولة. هل قالت شيئاً عني؟

ـ لا.

وقطب شيلي جبينه.. يا لها من إمرأة غريبة الأطوار:

ـ لما أنت مقطب؟

ـ وهل قطبت؟

ـ أجل هذه ليست طريقنا، أليس كذلك؟

ـ وهل تتوقعي مني أن اسلك طريقاً مختصراً؟ هل عليك الوصول في وقت تناول الشاي؟

ليس على الوقت تماماً، فالتتين مصاب بالرشح...

ـ رائع.. إذاً لماذا لا تأتين وتتناولى الشاى معى؟.

وابتسمت غابريلا. ولتوقها لأن تكون فى صحبه شابه مرحة، ونفوراً من عودتها بسرعة إلى سجنها، سألت نفسها: لماذا لا؟ على كل الأحوال، سأمضى فتره سعيده.

وهكذا ذهبت مع شيلي، وتناولا الشاي معاً فى غرفة راحته الخاصة. وأحضر شيلي صينية الشاى بنفسة، وقدمة لضيفته. هل مدبره منزله معتاده ياترى على الزائرات الغريبات حتى انها لم تظهر؟ وتجول السؤال فى ذهنها، فأحست بخفقان غريب لقلبها.

وتحدثا عن لندن، عن المسرح، عن المعارف، وبدا لها شيلى يعرف الكثير من الناس، العاملين فى مجال المسرح، وكانت المره الأولى التى تتحدث فيها غابريلا عن عملها منذ وصلت القصر... وسألها:

ـ ماذا حل ببيرلا غرانت؟

ـ بيرلا؟ لقد تزوجت ورحلت الى الشمال.

ـ يالهى! لم اكن اعتقد ابداً انها...

ـ ولا أى انسان آخر اعتقد. ولكنها لم تتزوج لتوقها حياه محترمه. فزوجها ملئ باكوام المال، ولديه قصر كبير، ولذا توصلت لإقناعة، بانه يستحق التضحية بعملها..

ـ بيرلا من النوع الذى يتطلع الى الفراء والماس.. إنها أكثر وأسرع العاملين فى البحث عن الثروه فى العالم. ولكن على ان اعترف انها فاتنه.

ـ أجل إنها جميله.. والرجال كانوا يجنون لأجلها. هل كنت تعرفها جيداً؟

ـ كنت اعرف رجلاً كان هائماً بها... إنه جيم وانسفورد.

ـ فهمت.. أخر مرة رأيتة فيها كان ليله قيادته سريه للإغارة على برلين حيث اسقطت طائرته، ولم يعد زوجى يومها ايضاً، لقد كانا زميلين.

ـ أمر مؤسف.. أتعلمين يا غاى.. لست افهم لماذالم التق بك من قبل فأنت كنت على صله بالشله التى كنت اعرفها. ولمعرفتى بسيمون...

ـ كنت تعرف سيمون إذاً؟

ـ أجل.. لم تتح لى الفرصة لأقول لك هذا... وكنا نتساءل عن مكان قضاءة وقته بعد ان امتنع عن السهر معناً.. وأعتقد انك كنت السبب.

ـ أجل.. كنت السبب.

ورفعت رأسها بسرعة عندما دقت الساعة القديمه فى البهو:

ـ النجده!! وهل مضى الوقت بنا هكذا؟ يجب ان اعود فوراً.

ـ المسافة ليست بعيده.

ـ ليس عليك أن توصلنى إلى البوابة. صحيح ان ليس بيننا علاقات سريه، ولكن افضل ان لا تعرف. بيرونز. كنت احب ان ابقى لمده اطول ولكن، صدقاً، لقد حان وقت نوم جيري.

ووقفت ترتب شعرها قليلاًعلى مرأه معلقة على الحائط، وسألها:

هل انت.. سعيده اكثر الآن يا غاى؟

وهزت رأسها دون أن تلتفت إليه، ثم قالت:

وكيف لى أن اكون سعيده؟ بينما تلك العجوز.. تلك العجوز المرعبة تكره ان اكون فى منزلها، وتنتظر أيه مناسبه أوعذر لترمينى إلى خارجة.

ـ لن تستطيع فعل هذا طالما أن لنيد سيمور قول فى الأمر.

ووصلا الى السياره وهما يتحدثان، وهو يساعدها الى الصعود الى السياره لامست يداه جسدها لأول مره منذ التقيا. ولكنه لاحظ إنها مستغرقة فى افكارهاحتى انها لم تلاحظ ما حدث. وما ان جلس بقربها حتى سألها بعد ان ادار محرك السياره.

ـ ألا تظنين انه ربمامن الأفضل للصبى ان لا يبقى معك طوال الوقت؟

ـ أجل.. بالطبع.. مع اننى لا أدلله كثيراً ... ولكن، شيلي.. السيده هارتنغتون تحاول خلق هوة بينى وبينه، وأكرهها لهذا.

- إنها ليست من البشر تلك الكذا وكذا..

وقاد السياره بسرعة، ووصلا الى أسفل المنحدر الذى يقود صعوداً إلى أبواب القصر. فسألها:

هل يجب ان اتركك هنا؟

- أرجوك...

وفتحت الباب الى جانبها واستدارت نحوه.

- شكراً لك للسماح لى بإضجارك بمشاكلى...

وامسك بيدها وقبلها بلطف:

هيا... ابتهجي يا غاى... سيكون كل شيء على ما يرام.

ولكنها احست بالحزن وهى تقف لدقيقة قرب السياره:

- اتمنى لو اشعر بهذا، ولكن هناك معركه دائره بينى وبينها، وبعض الأحيان أشعر بالخوف الهائل من انها قد تربح.

- أبداً... وحياتك!

- أرجوك هذا... الودا ع.

وراقبها لبضع لحظات وهى تصعد الطريق مبتعده عنه. ثم ادار السياره وسار بها مبتعداً.

يجب ان يكون الوداع! ولكن...

إنه يعلم، وبهاجس داخلى غريب ومجفل، أن من غير المجدى التفكير بالوداع... إذا لا يمكن ان يحصل...

وبينما كانت غابريلا تسرع نحو القصر، ولم تكن تفكر بالسيده هارتنغتون وجيري فقط. فقد عادت افكارها الى الرجل الذى افترقت عنه لتلوها الشخص الوحيد الذى عرفت معه ساعتين كاملتين من السعاده التى لا يشوبها شائبه... ولا تعرف منذ متى. فمع شيلي تستطيع التحدث عن امور كانت تلعب فى الماضى دوراً كبيراً فى حياتها، ومع انه لم يكن جزءاً من ذلك الماضى، إلا انة كان يفهم كل خلفياته. وعلى عكس العديد من الرجال، فهو لا يؤمن بأن الفتاة التى تعمل فى المسرح يجب ان تكون «رخيصة» بالضرورة. وكانت فى منتهى السعاده لإنه لم يحاول مغازلتها ذلك اليوم.. مع انها..

ووصلت الى اسفل السلم الحجرى الذى يوصل إلى الباب الأمامى للقصر... وتوقفت فجأه... مع انها... بدأت تحبه؟

حسناً... لقد عرفت هذا منذ التقيا. مع انها منذ ذلك الحين أبعدت الفكره عن رأسها متعمدة. وها هى تواجهها بكل صدق وأمانه. واجهتها وتقبلتها، وتقبلت معها اى شىء قد تسببة لها فى المستقبل.

وما إن دخلت البهو الواسع المكسو بالخشب اللامع متجهه نحو السلم. حتى خرج رجل من المكتبة. ولم تلتفت اليه ظناً منها انه كلاتيون الخادم الأشيب الشعر. ولكن، بوصولها الى اسفل السلم سمعت صوتاً مألوفاً يكلمها:

– هل ستقاطعين يا غابريلا؟

– اوه! لم اعرف انك عدت كولنيل سيمور.

– لقد وصلت ليله امس. وكان يجب ان ازوركم وادعوا نفسى على الغداء معكم.. ولكننى وجدت كلبى «ونستون» مريضاً واخذته الى البيطرى.

– أوه مسكين ونستون ارجو ان لا يكون الأمر خطيراً.

– لقد اخرجه الخادم من قفصة الى الشارع وصدمة أحد راكبى الدراجات الناريه المجانين.. ولم يكسر فية ايه عظام، وتركته فى العياده البيطرية للعلاج، ولم يكن لدى الشاب

الأخلاق الكافية ليقف ويرى ما إذا كان الكلب قد اصيب بضرر ام لا.

ـ القذر! أرجو المعذره.. هل تسمح لى ان اذهب لألقى نظره على جيري؟ لقد حان وقت نومه..

ـ بالطبع.. سأنتظرك.

وعادت غابريلا بعد عشر دقائق لتنضم اليه. وقالت له وهو يقف:

ـ لا تقف ارجوك.. هل تناولت الشاى.. كم مضى عليك هنا؟

ـ لقد قال لى كلايتون انه قد مر على خروجك عشرون دقيقة عندما وصلت. وشكراً لك، لقد احضر لى الشاى. ولم يكن يدرى ما إذا ذهبت الى القريه لإرسال رساله ام خرجت لتمشى.

وقرب لها كرسياً لتجلس بقربه، وشكرته مبتسمه.

ـ بماذا تفكرين وهذه الغمزات تظهر وتغيب فى وجهك؟

ـ لا شىء عدا إننى احب الأخلاق الطيبه.

– وهل سيكون من الطيبه ان ادق الجرس لأطلب لك بعض الشاى؟

– أرجوك لا تفعل... لقد تأخر الوقت لشرب الشاى.

– وهل أوى جيري الى فراشه؟

– وأليزابيت تقرأ له .

– لقد اعتاد على اليزا بيت.

أجل انه يحبها كثيراً.

– سمعت ان هيلين مصابه بانفلونزا صيفية. وتقول بيرسونز بأن هناك الكثير من الاصابات بها فى القريه. ولابد انها اصيبت بها خلال اجتماع هيئه «اتحاد الأمهات» يوم الأثنين.

وقالت بإخلاص:

– اسفة لأنها مريضه. ألا تظن ان عليها استدعاء الطبيب؟

– لقد استدعته بيرسونز. ولكنه ذهب الى احدى المزارع المنتشره. ولن يستطيع الحضور قبل المساء.

– فهمت.. وعلى ماذا تضحك، كولنيل سيمور؟

ـ هل قال لك احد من قبل كم ان وجهك معبر، يا غابريلا؟

وشاركته ضحكه، وقد اصابها الحرج قليلاً:

ـ صـحيح؟.. اوه.. يا عـزيزي! ولكن.. صـدقا سـأشـعـر بالأسى حتى ولو كانت بيرسونز هي المريضة.

ـ إذاً أظن انك ستجنين يا عزيزتي، فانا افكر على الدوام بأن بيرسونز هي اسوأ امرأه صادفتها في حياتي. ولكن بما انها امضت الكثير من السنوات في الخدمه هنا، أظن ان لها ولاء خاص للعائله.

واحست غابريلا بسرور سريع وحار لهذه الشراكه بينهما في كراهيه بيرسونز.. وسألها فجاه:

اخبريني... هل بدأت بالتعود على الحياه هنا؟ اتشعرين بأنك في منزلك الآن؟

ـ بدأت اتعود.. قدرما استطيع.. ألا تظن من الأفضل يا كولنيل لو سكنت مع جيري في بيت صغير ضمن الأملاك لوحدنا؟ ولو كوخ صغير.. ألا يوجد ما يسمى «بيت الأرملة»؟

فابتسم:

ـ من المفترض ان تحصل العجوز على مثل هذا البيت. لو ان سيمون أتى بك الى هنا قبل ان يموت، لكان على امه الآن ان تعيش بعيده. مع ان المنزل في الوقت الحاضر مؤجر.

ولكن السيده هارتنغتون تحب القصر، انه منزلها! وما كان احد يقترح لأن تتركه. مع انها لم تكون سعيدة أبداً معي فيه.

ـ ألستما متفقان؟

ـ هناك.. هدنه بيننا.. اوه ارجوك، لا تسيء فهمي. فأنا مستعده على للبقاءعلى السلم بيننا، ولكنها تكرهني حقيقة. ولن تسامحني ابداً على زواجي من سيمون.

ـ أه..! لا يجب ان نبالغ. اعلم ان الأمور صعبة عليك، ولكنها ستتحسن مع الوقت. وفي الوقت الحاضر، استمري في المحافظه على السلام.

ـ إذاً، انت لا تظن ان بإمكاني السكن لوحدي؟

ـ اخشى ان يكون الرد «لا» يا طفلتي.. فهناك الكثير من التعقيدات.. أعني مسألة أنني والجده اوصياء على الصبي فمنذ اجيال... تزوج احد الورثه فتاه بسيطه رفضتها العائله

واستطاعت ان تسمم افكاره ضد زوجته، وعندما اقترب من الموت، وكان عليه ان يترك ابنه الصغير تحت وصايتها، قام بتحويل كل الأملاك من نوع الوقف واشترط على ان لا تتولى اى ارمله من هارتنغتون الوصيه على الوريث، ووضع الوصايا فى يد الجدين.. وإذا كان احداهما ميتاً، يسمى وصياً من يشرف على إداره الأملاك. وفى هذه الأيام كنت انا مدير أملاك والد سيمون، هل فهمت؟

ـ أجل.. ولابد ان السيده هارتنغتون تظن اننى نسخة اخرى لتلك المرأه الشريره فى القرن الثامن عشر! هكذا إذاً.. ولكننى لن افترق عن جيرى طالما هو بحاجة لى، ويتوجب على ان أتعود على هذا.

إسمعى.. لماذا لا تأتين معى غداً انت وجيري، لنذهب الى البلده ونأتى بالكلب من العياده. لقد وعدته بشراء دراجه، وقد استطيع أن اجد واحده له.

ـ هذا لطف كبير منك.

ـ من العاده، أطلب كل طلباتى لتصل الى بيتى، ولكن هناك شخص اعرفه يبيع الألعاب سيأتينى بها.

ووقف قائلاً:

ـ على الذهاب الآن، سأحضر غداً عند الحاديه عشره، وسنذهب فى نذهه نحضر «ونستون» ونشترى الدراجه.

ـ وكلها اشياء تسعد جيري.

ـ عظيم...

ونظرت اليه غابريلا ممازحة:

ـ اعتقد اننى لا يجب ان ادعوك الى العشاء.. فقد لا يوافقون هنا على دعوتى.

ـ لو كنت استطيع لاصريت على البقاء.. ولكننى دعوت بعض الأشخاص للعشاء معى.. السيد هيوغ واللايدي «ويثنغ هام» انت لم تقبلى اللايدي «ويثنغ هام» بعد.. لقد عاد لتوهما من السكن فى اسكتلنده... انها شخصيه صارمه، ولكنها لذيذه جداً ولديها روح مرح مذهلة ولسان صريح يصيب بالإحراج.

ـ أنت تخوفنى منها.

ـ حقاً انها من النوع الطيب.. والآن على الذهاب.

وتصافحا، وسارت معه الى الباب مودعة. منزله يقع فى الناحيه الأخرى لمر السيارات والموقف المحيطان بالقصر، وبينما هو يسير مسرعاً نحوه، واخذ يقلب مشكله جيري وامه فى ذهنه.. من المؤسف أن تكون هيلين هارتنفتون من صنف مختلف من النساء، ويخشى ان تكون غابريلا محقة، فحامتها لم تسامحها ابداً لزواجها من سيمون. وها هى مرتبطة دون امل.. فأما ان توافق على فراق طفلها؛ أو ان تبقى تحت سيطره العجوز. إلا إذا غادرت هذا القصر الى منزل خاص بها.

زيارة مفاجئة

عند طرف القريه، كان هناك ممر يلتف صعوداً عبر الحرج وينتهي عند قمةتلة «ديرنغتون» ليوصل الى مرجه خضراء يحدها من جانب واحد ظلام الغابةالكبير، ومن الجانب الآخر الورود البريه والعليق، ليعود وينحدر الطريق بالتدريج الى سلسلة من التلال، حيث يستطيع المرءأن يتسلق ثانية، او يهبط، ما بين حافتين مرتفعتين، يتزايد عليهما نمو مزيج من النباتات المتسلقة.

وفي الهواء الطلق، كان النسيم يهب مع رائحة البحر فية، وكان هناك بقايا ركام حجارة رومانية قديمه، وأصبحت هذه البقعه النزهه المفضله لدى غابريلا، وهناك، وبعد يومين، إلتقت مع شيلي ثانية.

كان مستلقياً علي بطنه يسند جزعه إلى مرفقيه، ومستغرقاً في كتاب مفتوح أمامه. خطواتها لم يكن لها صوت، ووقفت تراقبه، وهي تشعر بانفاسها تحتبس في حنجرتها، وتسارع ضربات قلبها.

ثم، وكأنما سمع اسمه، إستدار بحده لينظر اليها:

ـ غي!

وفي لحظه كان يقف على قدميه:

ـ لا أصدق!انت رائعه.. لابد انك خيال.

ـ ولكنني خيال ملموس جداً.

ـ هل هي افكاري التي جسدتك؟ لقد كنت افكر بك. لقد كنت اقرأ شعراً.

وسارت بجمال.. وكأنها الليل.

ليل سماء دون غيم وفيها تبرق النجوم.

وكل ما هو افضل في الضوء وظلام الليل.

يلتقي فيه محياها والعيون.

او ليس من الطبيعي ان افكر بك؟

وابتسمت له:

ـ انه الشاعر الكبير اللورد بايرون.. دعنى اراه.

وتناولت كتاب الشعر الذى كان يقرأه، وقلبت صفحاتة ثم قالت:

ـ لدى هذا الكتاب، وانا أحبه.

وجلسنا معاً، لأن هذا بدأ أكثر شىء طبيعى ويبعث السرور، وأخذا يتحدثا عن الكتاب، وعن كتب اخرى وقالت معترفة:

ـ يبدو اننى لم اقرأ كثير منذ وصولى الى القصر. كل هذه الآلاف من الكتب فى المكتبه، لا تبدو، وبطريقة ما، انها هناك كى تقرأ. صفوف وصفوف منها، بترتيب واحد، ولا أشك ان السيده هارتنغتون ستقع ميته لو اخذت واحداً منها عن الرفوف.

ـ وهل تحبين الكتب؟

ـ احبها اجل: مع اننى لم تتح لى فرصة تجميع الكثير منها. والدى كان يقرأ لى كثيراً وأنا طفلة، ويشترى لى الكتب

عندما يستطيع، وكانت امى تعنفة لإسرافه... ولكنها لم تكن حقاً تمانع.. رحمها الله. والدى كان ذكياً، ووالده كان ممثلا لشخصيات شاكسبير.

ـ اخبريني عن اهلك.. وعن نفسك.

وأمسكت يدا غاي النحيلتين المسمرتين من الشمس، بساقها وبدأت تقص عليه.

والدها ممثل، عمل فى شركه سينمائيه صغيره. وكان والداها يحتفظان بها معهما، وعندما افلست الشركه أعاد جايمس بورنت عائلته الى لندن، او بالأحرى الى احدى الضواحى الجنوبية الغربيه منها. فى العاشره من عمرها، تدربت غاى فى مدرسة تمثيل راقص.ومارست الرقص على المسارح مع زملائها الطلاب.

الوحيده الجيده منذ سنوات، والدور الجيد استتبع الراتب الجيد. ولكنه اصيب بالتهاب فى الرئه، وفى اقل من اسبوع.. اصبحت غاي وحيده فى هذا العالم. وتابعت القول:

ـ لقد مر علي وقت سيء جداً.. ولكن كان لى اصدقاءكثر يعرفون أبي وأمي لسنوات طويله.. بروس هارد كاستل كان

جدى لوالدتي، وزوجته كورديلا، وكان أحرص الناس على . وسوف تحبهما لو رأيتهما يا شيلى.

ـ إذا كان الامر كذلك..متي القاهما؟

وهزت رأسها :

ـ لقد كانا فى اميركا عندما بدأت الحرب.. وكانا يرغبان فى ان ألحق بهما حال أن يرسلا لى ثمن تذكرتي. ثم بدأت الحرب، وما اتى من بعدها. كانا الوحيدين ممن عرف بزواجى مع انهما لم يعرفا التفصيلات. لقد كتبت لهما لأخبرهما. بمجيئى الى هنا، وهذا بالطبع، وضع نهايه لإمكانيه السفر اليهما.

ـ أكنت تحبين ان تسافرى؟

فهزت كتفيها اشاره عدم المبالاه. فاردف بعد لحظة صمت:

ـ غاى... انت شخصية رائعة.

ـ انا! انت تحلم.

ـ ولكن حلمى حقيقى.

وهزت رأسها ثم وقفت وهى تضحك:

ـ لقد سألتنى ان اقص عليك قصة حياتى... وها قد فعلت... واحس كأننى شخصية راويه «اليس من بلاد العجائب» أتذكر كم تعبت من اعادتها لقصة حياتها.

لقد مثلت مره وانا صغيره دور محاره فى الروايه.

وشاركها الضحك، وأخذا يسيران معاً فى طريق العوده. وقد تصلب رباط جديد فى السلسلة التى تجمعهما معاً...

وفى الصباح التالى وصلتهما رسالة:

«غاي عزيزتى...

كان على السفر مسرعاً الى المدينه.. وسأعود اسرع ما يمكن باركك الله.. شيلي».

ولم يعاود الكتابه لها.. ومر اسبوع.. وخرجت السيده هارتنغتون من عزله مرضها، واخرجت معها شعور بالإحباط. يوم الجمعة، وبعد الغداء، خرجت غابريلا للتنزه، ولكنها اضطرت للعوده لأن الغيوم كانت تنذر بالمطر، والتى قررت فجأه ان تنهمر.

وتناولت الشاى فى غرفه الجلوس، تحت إشراف السيده

هارتنغتون التى اخذت تتحدث احاديث قصيره... باشمئزاز..
ولم يكن من امل لحضور الكونيل سيمور، لانه كان قد سافر
ايضاً.

ومر اليوم متثاقلاً. وفى نفس الوقت لليوم التالى نزلت الى
غرفه الجلوس بعد ان سمعت صوت الجرس يدعوا لوقت
تناول الشاى. وما ان وصلت باب غرفه الجلوس حتى وقفت
مكانها دون حراك لسماعها اصوات فى الداخل...

زوار! حتى الآن استطاعت تجنب الزوار.. وكان هناك
واحد او اثنين قبل مرض السيده، والسماء تلمع، انها لا
ترغب فى لقاء السيده. بينما هى متردده أقبل الساقى
كلايتون، وبدا لها ان الوقت قد تأخر للرجوع. ففتحت الباب
ودخلت، واستطاعت الإحساس برده فعل السيده هارتنغتون
لدخولها وهى تقطع الغرفة خائفة من ان تظهر مشاعرها
ايضاً ووضعت قناع الهدوء فوق وجهها.

وقالت السيده هارتنغتون:

ـ اه غابريلا.. لقد علمت انك وصلت. [illegible] هذه زوجه
ابنى... غابريلا.. وهذه اللايدى ويثنغ هام يا غابريلا [illegible] صديقه

قديمه جداً.

وشاهدت غاي إمرأة لها صبغه من الجمال فى اواسط الستين من عمرها، لها فم ملىءبالظرف، وعينان سوداوان لامعتان، وراس انيق يتوجه شعر رمادى داكن جميل. وقالت السيده ويثنغ هام:

ـ تعالى الى هنا يا عزيزتى...

ولم يكن صوتها موسيقياً، ولكن العينان اللتان التقتابعينى الفتاه كان فيهما الكثير من الفضول، وصافحتها بحراره:

ـ لقد كنت عرابه سيمون، واتمنى ان نصبح اصدقاء.

وتغطى وجه السيده هارتنغتون بقناع بارد، وقد رات مرأه سيمون وعرابته تبتسمان لبعضهما.

اجلسى بقربى ،اخبريني- هل تحبين دفن نفـ الريف؟

ـ انه مكان جميل فى العالم:

جميل اجل ولكنه مضجر كالشيطان. ويجب ان نجد نوعاً من التسلية لك. فمن الردئ للشباب أن يسأموا. ولا يوجد

الكثير من الشباب والشبات فى هذه الأصقاع. وعندما يأتى الخريف ثم الشتاء سيمتلئ المكان بالمباهج والمسرات، كما اعتقد.

والتفت الى السيده هارتغتون:

– وهذا ما سيتيح لك المضى فى حياتك الناكسه العاديه يا هيلين.. وانا سأتولى رعايه غابريلا.

– اظن ان غابريلا عصريه كافيه لتؤمن ان الرعايه غير ضروريه.

– ولكن من الواجب تقديم الفتيات الى الناس.. ولا يمكن تكرهن يتخبطن لوحهن هكذا بالطبع هى معتاده على رعايه نفسها.

واحمر لون السيده هارتنغتون حتى اصبح قاتماً. ولراحه غابريلا، ودخل كلايتون فى تلك اللحظه يحمل عربه الشاى، فقالت اللايدى ويثنغ هام.

– من المؤسف أن لا أستطيع تناول الشاى على التراس. انا دائماً احسدل على تراسك فى مثل هذا الوقت من السنه يا هيلين. لابد ان الياسمين رائع الجمال هذه السنه.

ـ أجل.. ولكن هذا الطقس لا يحسن وضعه.

وقدمت الخادمه لهن الشاى تحت اشراف كلايتون.. وبعد ان انسحب قالت اللايدى لمضيفتها:

ـ شيء اخر احسدك علية يا هيلين.. العاملون عندك.

ـ انا محظوظه يا عزيزتى كلاريسا.. لأن كل الخدم المهمين كانوا يخدمون العائله منذ امد بعيد، ولسعادتى، لم يستدع احد منهم للخدمه خلال الحرب. وعلى الرغم من كل الصعاب تعاونوا معى بإخلاص.

ـ معظم خدمى استدعى الى الخدمه العسكريه. ولحسن الحظ لم يصب هيوغ بعسر الهضم فى طبخى، ويقول ادوارد انه لا يتزمر لأنه لا يجرؤ على ذلك.

والتفت الى غابريلا:

ـ كيف تتوافقين مع ادوارد؟

ـ احب الكونيل سيمور، انه احد الطف الرجال الذين التقيتهم.

فيما بعد علمت غاى ان السيده هارتنغتون كانت اثناء

الحرب رئيسة جهاز الدفع المدنى... وبسبب كثير من المتطوعات لم يكن عليها اداره منزلها لوحدها. وسألت اللايدى:

ـ هل لا يزال ادوارد مسافراً؟

واجابت السيده هارتنغتون:

ـ اعتقد هذا... ربما غابريلا تعرف متى سيعود.

وقالت غاى:

ـ غداً.

والتفت حماتها العدائيه، وفكرت: يا الهى! كم ستكون حفله شاى رائعة. وكان واضحاً ان اللايدى تحاول اثاره مضيفتها بجر غابريلاللتحدث عن نفسها.

ـ هل اشتقت الى المسرح؟إسمعى.. سوف نقيم مسرحيه دراميه للهواه هذا الشتاء، وسوف تدربينا على الخطوات المطلوبه.

ـ لا اظن اننى قادره على هذا، فالمسرحيات الموسيقيه هى اختصاصى...

ومع ان السيده هارتنغتون بدت غير مهتمه، ولكن هذا الحديث كان بمثابه وضع الملح فوق الجرح. ولكنها لم تستطع تجاهل الحديث:

وقالت اللايدي:

ـ حسناً.. بإمكانك تعليم بضع خطوات راقصه... اهذا صوت سياره تقترب..؟ المزيد من الزوار؟

ـ هذا مستحيل في يوم هكذا.

ولم تكن السيده هارتنغتون في مزاج لتقبل المزيد من الزوار ولكن جرس الباب قرع بالحاح. فقالت اللايدى ويثنغ هام:

ـ انهم يسعون للدخول!

وساد صمت قصير، ثم دخل كلايتون ليعلن:

ـ سيدتي.. هناك سيد وسيده وصلا لرؤيه السيدة سيمون.

ـ لرؤيتي انا... من..؟

ـ لم يعطياني إسمها سيدتي.

وسمع صوت رجل عميق:

ـ اسمح لي...

ازاح الخادم الى الجانب ليسمح للرجل بالدخول.. رجل طويل بشعر ابيض جليل.. وقف بالباب ومد يده صائحاً:

ـ غاي! أهاو.. مرحباً يا غاي!

ننكي...!

وقفزت غابريلا وهى تصيح ابتهاجاً، وكادت تقلب الطاوله الصغيره التى عليها اكواب الشاى، وطارت اليه وذراعاها مفتوحان ترحيباً...

ـ يا طفلتي...! يا طفلتى التى اضعتها منذ زمن.. انت كل مالى وثروتى وابنتى.. يا الهى الطيب! غاى اليس هذا رائع! قبلى جدك العجوز.

ـ حبيبى!

وضمته غاى اليها، وذراعها حول عنقة، وقدماها فى الهواء، وقد نسيت الجميع من حولها.

ـ هاى.. واين جدتى كورديلا؟

وتقدمت امرأه، صغيره الحجم، انيقه، ذات شعر اشقر تحت قبعه جميلة جداً... وحصل عناق اضافى.. قالت السيده هارتنغتون خلالة:

ـ هذا يكفى كلايتون...

وكأنما الخادم يشارك فيما يجرى.

وعادت غابريلا الى الواقع... وحتى نظره حامتها غير الموافقهلم تسطتع كبح فرحتها بهذا التجمع. منذ فتره قصيره كانت تخبر شيلى عن هذين الحبيبين الرائعين. وامسكت بيدا كل منهما وقادتهما الى الأمام بفخر:

ـ سيده هارتنغتون... هل لى ان اقدم اعز من لدى فى الدنيا.. السيد والسيدهبروس هاردكاسل.. واعتقد انهم عاد من اميركا لرؤيتى.

ـ انت محقة، كل الحق.

واستدار السيد هاردكاسل حول الطاوله، تتبعه زوجته، واخذ يد السيده هارتنغتون المتمنعة ورفعها الى شفتيه ولوح بيده الأخرى:

ـ هذه زوجتى كورديلا.. نحن سعداء بمعرفتك، ونشكرك بوصفنا اهل هذه الفتاه على ضمك لها تحت جناحك.

وقربت غاى كرسيين لزائريها... وجلست بدورها فمدت كودريلا يدهاالى وجهها وقالت:

ـ يا الهى الشفوق! انظر يا بروس.

وقبل ان يتوتر الجو، سارعت اللايدى ويثنغ هام للقول بمرح:

ـ بما أن أحداً لم يقدمنى.. إسمى ويثنغ هام. فصاحت غاى...

ـ اوه أرجو عذرك.

ووقف آل هاردكاسل من جديد ليصافحها بأدب، واستجابت لهما هذه المرة بابتسامة رائعة. وقالت السيدة هارتنغتون:

ـ غابريلا.. إقرعى الجرس ليحضروا لنا المزيد من الشاى. وتبادل الزوجان النظرات، ثم قال بروس:

ـ ليس لنا، شكراً لك.. لقد تناولنا الشاى ونحن فى

الطريق.. صدقاً يا حبيبتى غاى.. لا أعرف اليوم كيف يتدبر الإنكليزى حاجته، ولكننى أستطعت أن آتيك بسلة كبيرة من المأكولات، إنها فى صندوق السيارة.

– هذا رائع منك.. وتدخلت اللايدى ويثنغ هام:

– إذاً لقد أتيتما من أميركا سيد هاردكسل؟ أخبرنى عنها. هل كنت تمثل هناك؟

لقد ذهبت بناء على عقد لتمثيل فيلم.. ولكننى ارتبط بثلاثه افلام.. وهذا يكفينى. فانا افضل المسرح. فانا تجولت فى اميركا لثلاثة سنوات، وفعلت ما فى استطاعتى للمجهود الحربى، فانا لست عجوز كثيراً فانا فى السبعين.

– ولكنك لست فى السبعين!

– اخشى ان اكون يا سيدتى.. وزوجتى، بالطبع، تصغرين كثيراً.

فابتسمت كورديلا:

– لقد كبرت يا عزيزى، فانا العب ادوار الأمهات الآن.

وصاحت اللايدى وثنغ هام:

ـ هل انت ممثل افلام حقيقى.؟ هذا امر مثير حقاً.

ـ هذا بفضل الضروره وليس لإرادتى.. فانا افضل المسرح. ولكنهم عرضوا علي التمثيل فى الأفلام لأنهم وجدوا بى المثال الأنسب لدور البارون الإنكليزى. ولم اخذلهم ولاقيت النجاح.

وابتهجت اللايدى ويثنغ هام.. وجرت بروس ليقص عليها تجربته فى هليود. بينما كانت كورديلا تتحدث الى غابريلا، وتلقى عليها سيلاً من الأسئله المليئه بالمحبه والعاطفه، محاولة جهدها اشراك السيده هارتنغتون فى الحديث، والتفت بروس الى غاى:

ـ ومـاذا عن الشـاب الذى عندك يا غـاى؟ نريد رؤيه الصبى.

ـ انه على وشك تناول الشاى الآن، فلنذهب الى جناحه.

وما ان وقف وزوجته حتى سارعت اللايدى وثينغ هام الى القول:

ـ سوف اذهب بعد بضع دقائق.. ولكننى امل ان نلتقى ثانيه فى المره القادمه لزيارتكما غاى، واطلب منهما ان تأتى

بكما لزيارتي. اعيش على بعد بضع اميال من هنا.

وانحنى لها بروس بوقار:

ـ سيكون هذا مدعاه لسعادتنا سيدتي...

فسارعت غاي للقول بسرعة:

ـ اللايدى ويثنغ هام.

استميح جنابك العذر.. سيكون الأمر رائعاً! تعالى يا كورديلا.. لنذهب ونشاهد الصبي الوارث...

واشعلت اللايدى ويثنغ هام سيكاره وقالت:

ـ كم هما زوجان رائعان.

ونظرت اليها السيده هارتنغاتون برعب

ـ عزيزتي كلارسيا! هذا مجرد عرض مسرحي.. من بين كل الرعاع!.

ـ لا تكوني متعجرفه.. فانا لم اقابل زواجاً محبوباً اكثر منهماا اتذكر عندما كنت فتاه انني كنت معجبة بالسير تشارلز وايند هام... وهذا الرجل لا يختلف عنه كثيراً...

وهو صاعد نحو جناح الطفل، وضع بروس يده في زراع

غاى، وتمتم:

ـ هذه الأرمله العـجـوز ليست... وديه تماما.. انها بارده قليلاً.. كما اعتقد...

وقالت زوجته:

بارده انها من القطب الشمـالى! اخبرينى يا بطتى، هل كان يجب ابلاغك قبل مجيئنا؟ اردنا مفاجئتك.

ـ لا بالطبع.. انها اجمل مفاجئة حدثت لى فى حياتى. والسيده هارتنغتون هكذا على الدوام.. فهذه اخلاقها.

ولن تبدل مقابل الدنيا كلها.. ان تفسر سعادتها بهما.. ولن تتركهما بخمنان حقيقه وضعها...

الفرار من الحب

عندما قرر شيلى السفر الى المدينه، كان مصمماً على عدم العوده الى القريه «أمورث» لبضعه اشهر. وقد يكون من الجبن الهرب، ولكن على الأقل، كانت لديه الشجاعة لمواجهة حدوده.

ونفض رماد غليونه، ثم مال الى الخلف، وحدق الى قلب النار المشتعلة، التى اشعلتها مدبره منزله بإصرار قائله:

ـ الطقس بارد وكـأننا فى اذار سـيـد لانديز. وقليل من النار سيزيد المنزل ترحاباً.

ولكنه لم يشعر بالراحه، فكل ما كان يشاهده وجه فتاه يحيط به شعر اسود ملتف، وعينان زرقوتان داكنتان حالمتان، وفم لا يليق به سوى الضحك والتمتع بمباهج الحياه.. ليل نهار كان هذا الوجه يلاحقة، وهو يعلم انه سيلاحقه طالما هو حى.

وحدق فى النافذه حيث كان المطر يصطدم بها، تدفعة الريح الجنوبيه الغربيه التى تصاعدت واخذت تنفخ بقوه.

من الأفضل له انه عاد الى القريه الآن دون ان تعرف هذا.. وعاد نظره الى ألسنة النار، ثم سمع قرعاً على زجاج النافذه، فاستدار ثانيه وقد اجفل وكأنما سمع صوت الرصاص... وفى اللحظه التاليه وصل الى الستائر، وفتحها، ثم فتح الباب الزجاجى العريض...

ـ حلوتى...! لأجل السماء...؟

وكانت غاى قد تعثرت مندفعه الى الداخل، وهى تطلق تنهيده ارتياح.

ـ شيلى! انت هنا.. اوه! كم انا مسروره.

وضحكت بانفاس مقطوعه، وهى تخلع معطفها المبلل، وتتركه يقع فوق خشب الأرضيه المصقول.

ـ انا غارقه بالماء... لقد سرت من القريه الى هنا.

ـ لأجل حب الله... ماذا تفعلين هنا يا صغيرتى؟ تقدمى من النار قبل ان تقولى اى شىء.

واجلسها فى كرسى، ثم ركع امامها ليخلع لها حذائها:

ـ اليس لديك حذاء خاص للشتاء؟

ـ كنت انوى العوده بالسياره.. ولكننى...

ـ انتظرى لحظه.. هذه الكنزه مليئه بالماء.. اخلعيها سأرسل لك شيئا تلبسينة.

ونهض ليتناول معطفها المبلل، ويخرج بسرعه من الغرفه. فى اقل من خمس دقائق دخلت امرأه رماديه الشعر. مريحة القسمات، وفى يديها روب رجالى احمر واسود.

ـ يرجوك اليد لانديزان ترتدى هذا، ارجوك، سآخذ ملابسك لأجففها.

ـ اوه.. شكراً لك، إنه ازعاج فظيع، لقد تبللت كثيراً، وشاهدت اضواء المنزل، وفكرت ان التجئ إليه لقليل من الوقت.

ما فعلتيه جيد يا انسه. سأرسل لك شراباًساخناً. واخشى ان يكون الخف كبير على قدميك.

وعلى الفور تقريباً، عاد شيلي يحمل كوباً كبيراً يتصاعد منه البخار:

– اشربى هذا... ثم اخبرينى ما حدث.

– ولكننى لست من معدن.

فضحك وقال:

– احتسيه على مهل إذاً.

وشربت قدر استطاعتها، ثم انحنت لتضع الكوب فوق الطاوله.

– وكإنما نحن فى منتصف الشتاء، اليس كذلك؟ وان اموت من التهاب الرئه لمجرد خروجي تحت المطر.. شيلي.. حقاً لا استطيع ان اتصوركيف سامضى بقيه حياتى فى القصر، فتلك المرأه تكرهنى.

– وماذا جرى الآن؟ اخبرينى يا حلوتى.

– – لا شىء افعله محق.. اليوم حضر الهارد كاسل ليزوورنى... جدى وجدتى اللذان اخبرتك عنهما. وعلمت للفور انهما والسيده هارتنغتون لن يتكلما نفس اللغه، ولكننى على الأقل املت ان تكون مهذبه.

– او لم تكن مهذبه؟

– للحظات فقط. ثم كان نوعاً من التهذيب المهين..

وتظاهرا بإنهما لم يلاحظاها، وتصرفا بشكل رائع. وأخذتهما الى جناح الطفل، وكان في زيارتنا اللايدى ويثنغ هام، انها محبوبه، وتتصرف كسيده حقيقيه. واعتقد انها احبت جدى وزوجته، وانزعجت كثيراً من تصرفات السيده هارتنغتون. وعندما نزلن من عند الصبي.. فاجئنا كلايتون برسالة من «السيده» انها مريضه وستتعشى في غرفتها. وكان من الواضح ان الهاردكاسل رغباً في الذهاب. ولكنني، وللمره الأولى، قررت ان اتصرف وكأنني في منزلي، وقلت لكلايتون انهما باقيان للعشاء، وبدا وكانه قد ابتلع منجلاً، ولكنني اعتقد انه كان متعاطفاً، معي وسر الخدم الآخرون لوجود اهلي معي، ماعدا بيرسونز بالطبع، وجلب لي جدي حقيبه مليئه بالأشياء المذهله من اميركا. وامضينا وقتاً مرحاً بالفعل. وكانا قد استأجرا سياره ليعودا بها الى محطه القطار، وقررت ان اذهب معهما لأودعهما واعود في سياره تاكسي. وما كدت لاستعد للخروج حتى ارسلت بطلبي. كانت كالمجنونه، وطلبت مني ان لا استقبل احداً على «شاكلتهم» في منزلها ثانيه... وطالما انا اعيش هنا، فهي تتوقع ان انسى صلتي بالعالم وبأصدقائي.

وصدر عنه صفير الإستهجان، فتابعت قولها:

– لست معتاده على فقدان اعصابى، ولكن، كانت هذه احدى الناسبات لأفعل.. وقلت لها جيداً وكثيراً ما ظنى بها، وقلت لها اننى لم اقابل عامل تنظيفات فى المسرح له اخلاق سيئه كأخلاقها، او انه لا يخجل من اظهارِ هذا الكم الضئيل من الكرام والضيـافـه. وقلت اننى لن افكر فى التخلى عن اهلى واصدقائى، وطالما انا اعيش، لسوء طالعى، تحت ذلك السقف بسبب وجود جيرى هناك، فسوف احصل على زياره من اشاء. وقلت اننى كارمله سيمون فلدى بعض الحقوق. وربما تماديت قليلاً. ولكن كان هذا اكثر مما يتحمله بشر من لحم ودم.

وتوقفت وقد اختنقت بالبكاء:

– ماذا سأفعل؟ اشعر بالبؤس الشديد.

رؤيتها هكذا، والدموع تجرى على خديها، كان اكثر من احتماله.. بدت صغيره ومعرضه لكل انواع الأخطار.. ونظر اليها يائساً:

– يا حلوتى... اتمنى على السماء لو منحتنى القدره على

فعل شيء ما...

وفجأه، انفجر كل ضغط السيطره التى مارسها على نفسه طوال تلك السابيع.. فخرَّ على ركبتيه امامها.. واصبحت بين زراعيه.

واحس بملوحة دموعها على شفتيه، المره الحلوه. وتعلقت به دون كلمه وعيناها مغموضتين. فقال بصوت اجش:

ـ يا الهى العزيز...! انا احبك.. واشعر بالعجز.

ـ وانا احبك يا شيلى.. احببتك دوماً.. منذ ولادتى كما اظن. نحن ننتمى لبعضنا.. عرفت هذا منذ ليله التقينا. ولا يمكن ان نفترق.

ومدت يدها لتمسك بوجهه، نصف باكيه ونصف ضاحكه.

ـ حبيبى.! انا فتاه وقحه.. ولكن علي ان اقولها ثانيه، احبك كثيراً.. فبادلني الحب.. هذا كل ما اريده.

وقال وشفتيه على خدها:

ـ اعبدك.. ايتها الطفله.. انت امرأه قلبى.

ـ اذاً..

سيكون كل شيء على ما يرام.. ألا ترى.. يمكنك اخذى

مع جيوي الى اميركا.. وسنعطيه كل حبنا، ولن يحتاج الى شيء. ولن تتمكن تلك المرأه الرهيبه ان تجده...

– اوه يا غاي... لو انني فقط استطيع...

وحرر نفسه من يديها المتعلقتين به بلطف وقال بصوت مرير:

– أنا اسوء وغد في العالم.. كان علي ان اقول لك هذا منذ البدايه.

– ما الأمر يا حبيبي؟ ماذا كان عليك ان تقول؟...

– بأنني متزوج... ومفترق عن زوجتي منذ سنوات.. ولكن قد قررت اخيراًان اتوافق على اعطائي حريتي.

– فهمت... انا.. لم اكن اعرف هذا.

– كان علي ان اخبرك.

– اعلم... كان علينا... ولكننا لم ندرك بان... حبيبي لا يبدوا عليك البؤس هكذا، هذه اشياء حدثت للناس من قبل.. ويجب علينا مواجهتها.

كانت تواجه الأمر بشجاعتها المعهوده، بالرغم من انها كانت تحس بان قلبها قد انشق.

ـ انت تخجليني يا غاي. يجب ان اتلقى ركله لانني فعلتُ بك هذا. كان على ان ابتعد عن حياتك تماماً. والسماء تعرف ان لدينا ما يكفينا من الاحزان.

ـ لو انك خرجت من حياتي، لما عرفت انك تحبني، وهذا امر اسوأ بكثير... وخاصه عندما تكون وحيداً مثلي.

وركع امامها ثانيه، ولفها بزراعه

ـ يا حلوتي المسكينه، اكان الأمر سيئاً لهذه الدرجه؟

وتركت نفسها ترتاح قليلاً، مسنده رأسها اليه، ثم:

ـ اجل.. لقد كان الأمر يدعوا لليأس احياناً.

وقبل شعرها الناعم، وهو يكره نفسه، ويشعر بالسقام من تأنيب الضمير، وللفوضى التي اوقع بها حياته. وسألته:

ـ اليس من الأفضل لك ان تخبرني عن زواجك؟

ـ اليس من حقي ان يعلم اكثر منك.

واشعل سيكاره... ثم وقف واحدى ذراعيه مسنوده الى رف المدفأه يحدق بالنار، واخذ يتكلم:

ـ ربما كان على ان اشرح لك ان سبب كراهية السيده

هارتنغتون لي هو انني كنت تعيس الحظ لأتزوج من ابنه شقيقتها.

– ابنه شقيقتها؟

– اجل.. ابنه خاله سيمون، سانشياكونواني، ربما سمعت بها.. كانت اجمل فتيات المجتمع الراقي. والعديد من الرجال اراد الزواج منها. كانوا يقولون انها بارده كالثلج، الفتاه التي لا يستطيع احد الوصول اليها. وكانت هذه سمعتها عندما ذهبت لتسكن مع بعض اقاربها في نيويورك. وكنت في الثالثه والعشرين، ومدلل كثيراً. وكنت قد سئمت الفتيات السهلات المنال...اوه.. انا استاهل الكثير مما حصل لي..

وضحك بحزن:

– وصممت على الحصول عليها.. وفجأه وجدت نفسها انها هي من حصلت علي!ولم يكن سهلاً التصديق بأن كل ذلك الجمال هو مجرد واجهه فارغه لا شيء خلفها... وظننت انني قد ابعث الحياه في التمثال الجامد... جتى انني كدت احطم قلبي لأجلها...

– وهل... أحببتها؟

– احببت الفكره التي بنيتها بنفسي حولها. ظننت انها

رائعه... اميره الثلج! وغالباً ما تساءلت لماذا تزوجتنى، الى ان قالت لى انها تزوجتنى لتلقنى درساً. اهلها كان لديهم اطنان من الفخر العائلى، دون بنس واحد. وظنوا اننى العريس الأمثل... زواجنا، بمعنى الكلمه، لم يكن زواجاً. وعشنا تحت سقف واحد لسنه، سنه كانت كالجحيم لى... وتمتعت بمشاهدتى وانا اعانى... تلاعبنى كما القطة والفأر... الى ان انفجرت، وعرضت عليها حريتها، ولكنها لم تكن تريدها. فلم تكن ترغب من الزواج ثانية.. ولا انا! بعد ان عضتنى الحياه! وكالغبى تركت كل شىء معلقاً.. وكانت الحرب، هذا ما سهل الأمور وسهل لى لعب دور الغبى اكثر. وهكذا كان...

ووقفت لتتقدم منه، واطبقت زراعاها من حوله، ووجدت شفتاها الشفاء لجروحه. ولبرهه من الزمن نسيا كل شىء ما عدا انهما فى الجنه التى للعشاق... حيث لمسة المحبوب هى كل ما يهم...

ووقعت حطبه مشتعله من مكانها، فاعادتهما الى الأرض، وتركها، وانحنى ليعيد الحطبه المشتعله مكانها، وليزيد واحده

اخرى للنار المشتعله. فى الخارج.. كان المطر لا يزال منهمراً. وهبات قويه من الريح تصدم الزجاج. ولكن غابريلا لم تكن تعى سوى العاطفة التى فى قلبها، والنار التى تشتعل فيه. وقال لها:

- يجب ان نجد طريقه للخروج من هذا المأزق. ولكن.. ولكن علينا مواجهته يا حبيبتى.. واظن اننا لا نستطيع المساعده من سانشيا.

- ولكننى لست افهم لماذا لا تستطيع الحصول على حريتك... فاذا رفضت هى العيش معك كزوجة...

- هذا ترتيب وافقت انا عليه...

- ولكن لم تكن ترغب فى الحريه.. قبل الآن؟

- لا..! لم اكن ارغب فى الزواج ثانيه. وهى كذلك.

- آه.. فهمت.. ولكن لماذا تلومك السيده هارتنغتون؟ لابد انها تعلم ما هى ابنه اختها؟

فضحك بمراره:

- حتى ولو عرفت، لما خفف هذا من تعاطفها مع

سانشيا.. ولدى انطباع انهما من نفس الطينه.. ولكن السيده هارتنغتون لا تستطيع فهم سبب رفض سانيشا الطلاق منى، نظراً للفرص الكثيره التى اعطيتها لها.

ـ هل اعطيتها فرصاً كثيره...

ـ لقد لعبت دور الغبى ببراعه. فى البدايه شعرت بالألم، واردت ان انسى ثم مللت... و... حبيبتى.. انا لست مناسباً لأربط لك شريط حذاءك والأفضل ان تبتعدى وتنسى كل شىء.

ـ لا... ابداً.

ـ لو اننى استطيع فقط ان اخطفك والطفل بعيداً. وكما قلتى.

وهذا ما أعادهما الى نقطه البدايه، فقالت وهى تفرك يديها:

ـ يجب ان افكر بجيرى يا شيلى.. احبك كثيراً، ولكننى لا استطيع التخلى عنه.. أبداً. انظر يبدوا ان المطر قد خف قليلاً.. ويجب ان اذهب.

وهز رأسه

ـ سأوصلك الى البوابه، فليس من الحكمه ان نطلب سياره اجرة. فلا نريد ان نتسبب بالقيل والقال فى القرية.

– شيلي هل تحبنى حقاً؟

–اكثر من حياتى. ما بك؟

– وكيف عرفت اننى اود ان اسالك شيئاً؟

– انه فى عينيك.

– هل.. احببتها كثيراً.

– لم اعرف ما هو الحب حقيقه حتى التقيتك.. كان مجرد زواج عابر.. وانا لا استحق ما ستعطينى اياه من الحب...

واوقفت الكلمات على شفتيه بيديها، وجذبها اليه، وتلاشت سيطرته على نفسه، فغطى وجهها بالقبلات.

– اعبدك..! ولن ارتاح حتى تكونى لى.. وسامحينى على ما يتعذر تغييره الآن. وكل ما تبقى فى حياتى هو لك..

وتوقفت فجأه عن الكلام، فبدون اى انذار، فتح الباب عليهما. وكان فى مواجهته، ولدى صدور صيحه تعجب خفيفه منه، استدارت غابريلا، وشاهدت الفتاه التى وقفت مسمره فى المدخل. والنور المنبعث من الردهة خلفها، يرسم قسمات جسدها النحيل الملفوف بالفرو بحده.

حتى وقبل ان يصيح شيلى بحده «سانيثا! ماذا اتى بك الى هنا بحق الشيطان!» علمت غابريلا ما هى الدخيله «اميره الثلج» تلك الكلمات التى كانت تقطع قلبها كالسكين.

وتقدمت سانيثا ببطء.. وقالت بصوت واضح مثقف:

_ أسفه لاقتحامى عليكما هكذا يا شيلى.. ولكننى كنت فى طريقى للبقاء مع اصدقاء على بعد عشره اميال من هنا.. واضاع سائقى الطريق فى هذه العاصفه، ثم ثقب اطار السياره. واعلم ان منزلك قريب وتمكنا من الوصول امام ابوابك.. واعتقد ان بإمكانى الدخول هنا لنصف ساعه. ارجوا ان لا اكون قد قاطعتكما...

_ ليس بالمره.. هل لى ان اقدمكما. انسه برنت.. هذه زوجتى.

واحنت سانثيا رأسها قليلاً:

_ كيف حالك؟

وتابع شيلي كلامه، وهو يشتم الظروف فى سره:

_ لقد علقت الأنسه برنت فى العاصفه.. ولسوء الحظ ليس لديها سياره... وتبللت بالمطر.

ـ كم هذا امر مزعج.

وكانت عيناها تقول: لا أصدق كلمه مما تقول، وارتفع حجاباها!

ـ انت بالتأكيد لم تأتى سيراً من القريه انسه برنت؟

ـ أجل.. فانا احب المطر.

والتفت الى شيلى:

ـ الا تظن ان ثيابى قد جفت؟

فرد بهدوء:

ـ اجل.. ولا اريدك ان تتأخرى عن موعد قطارك.

ونهضت غابريلا وهى تجمع الروب حول جسدها.

ـ وداعاً سيده لانديز.

فهزت سانثيا رأسها ببرود.

ـ وداعاً...

وامسك شيلى بزراع غابريلا.

ـ من هنا يا عزيزتى...

ثم همس بعد ان ابتعدا وهو يدفعها نحو السلم..

ـ إصعدى وسأرسل لك السيده دان مع الثياب. وسأطلب سيـاره.. واخبريه اين تريدين الذهاب.. سيكون ابن «حنه» العجوز.. انه شاب لطيف.

وعند اسفل السلم امسك بيدها وقبلها.

ـ ولكن مـاذا لو التـقـيت سـانشـيـا فى منزل السـيـده هارتنغتون؟

وظهر على وجهه الرعب.. ثم:

ـ عليك ان تقسمى بأنك لا تعرفيها ابداً! سأراك قريباً.

وانحنى ليقبلها بسرعة، واردف:

ـ مهما حدث.. انا احبك.. وستكون النتيجه جيده.

وركضت غابريلا صاعده السلم، وهى تحاول ابعاد فكره الإقتناع بأن الفتاه التى تركتها مع شيلي هى اجمل بكثير مما اعترف به... انها فعلاً اميره الثلج...

والثلج يمكن ان يكون مدمراً بشكل فظيع.

غيرة وحقد

غابريلا. كانت قد تعلمت من اقسى المدارس فى الحياه، ان تقفل تفكيرها تجاه ما تتوقعه فى المستقبل، وان تتعاطى مع المشاكل الحاليه لحظه ظهورها.

وقررت ان تطلب من السائق ايصلها الى القريه، ومن هناك ستأخذ سياره اخرى للعوده الى القصر. وعندما وصلت الى اول القريه اوقفت السائق وغادرت السياره شاكره بعد ان اعطته اجرته..

وما ان سارت قليلاً حتى اضاءت انوار سياره الشارع امامها، فتوقفت وانزوت مبتعده، ولكن ما ان مرت بها السياره، حتى سمعت صرير اطارتها وهى تتوقف، ثم عادت الى الوراء نحوها:

ـ غابريلا! لم أصدق أنك انت! يا طفلتى، ماذا تفعلين هنا فى هذا لطقس؟

وبشهقه خفيفة تعرفت على الكولنيل سيمور:

ـ اوه! هذا انت!

ـ اجل.. انا فى طريقى الى المنزل.. اصعدى فوراً انت مبللة.

ـ ليس كثيراً.. وسوف ابلل سيارتك...

ـ لا يهم.. ولكن لأجلك انت لا تستطيعين الجلوس بهذا المعطف الملىء بالماء. ولدى معطف فى الخلف، فاخلعى معطفك والبسى الأخر... قد يكون كبيراً عليك ولكنه جاف.

وبعد دقيقه كانا يضحكان لمنظرها فى المعطف الواسع:

ـ واين ستذهبين من هنا؟

ـ معك!

وساعدها للصعود في السياره ثم جلس خلف المقود.

ـ والان أخبريني.. ماذا تفعلين هنا بعيداً عن المنزل؟

ـ لقد خرجت لأتنزه، وبما اننى لا استطيع الهرب، فهذا افضل شىء افعله... لقد اصبح هذا عادى لدى. وقد تتذكر

اننى فعلتها قبل الآن.

وكانت السماء قد بدأت بالصحو، وبرز ضوء القمر الشاحب، فادارت رأسها تفترس فى الوجه الوسيم للرجل الجالس بقربها، ثم:

ـ اعتقد انك لن توافق على ما فعلته الآن. ولكن لدى الحق على الأقل ان ابلل نفسى ساعة اشاء. ولو لم اخرج لفعلت شيئاً بنفسى. وانا اعلم ان هناك القليل من الحريه باقيه فى هذا البلد، ولكننى لا احب ان تدار حياتى على غير رغبه منى..

ـ يا عزيزتى بالطبع انا لم انتقدك. بل اننى اتساءل ماذا يستطيع المرء ان يفعل ليحسن لك اوضاعك.

وامسك بيدها!

ـ كيف يمكن لاحد ان يكرهك؟

ـ إسأل السيده هارتنغتون، ولن استطيع العوده لذكر ما حدث اليوم، والأفضل ان تسمع روايتها. او روايه اللايدى وثنغ هام...

ـ كلاريسا؟ وهل قابلتها؟

ـ اجل.. اوه.. اعتقد ان على ان اخبرك.

وأخبرته بالمختصر... ولكنه استطاع القراءه من بين السطور فغضب وقال:

ـ اعلم ان هيلين صعبه المراس.. ولكننى كنت آمل ان تظهر نيه طيبه اكثر، فبدون النوايا الطيبه، لا يمكن لشخصان مختلفان مثلكما ان يتفاهما..

ـ كنت مستعده بما فيه الكفايه. لإظهار نواياى الطيبه. لو انها فقط تتحلى باخلاق حسنة، اتعلم.. يوماً ما ستعلم اننى ساهرب الى الأبد، وآخذ جيرى معى.. ولتفعل ما يحلوا لها.

ـ لا.. لا تفعلى هذا، ولا تنسى ان جيرلاد هو وارث املاك هارتنغتون. وقد تحول هيلين الأمر الى المحاكم، واذا حكمت بإعاده الطفل الى حضانة جدته، فما عليك سوى الإذعان، فلا تقفى ضدها بهذه الطريقه يا عزيزتى، فسوف تعطيها الفرصة لتفعل ما لا تستطيعه حالياً...

ـ أن تتخلص منى نهائياً؟

وهز رأسه

ـ ولكنها لن تستطيع هذا بينما انا اتصرف بشكل لائق. لا يمكن لها اثبات اننى لست لائقه لحضانة طفلى..

ـ هناك طريقه للخلاص يا غابريلا.. بإمكانك الزواج منى.

وفى لحظه الصمت الرهيب الذى تلا، اصابه الذهول بقدر ما اصابها لمعرفه هذا، ثم قالت:

ـ ولكن.. انا لا افهم...

فابتسم:

ـ انا اطلب منك منحى شرف ان تكونى زوجتى.. انتظرى! اعلم اننى فاجأتك، ولكن لا حاجه لإتخاذ قرار متسرع. اعلم ايضاً اننى اكبر منك بكثير. حتى اننى ابدوا عجوزاً مثيراً للضجر...

ـ لا تكن سخيفاً. انت ليس مثيراً للضجر! وعجوزاً.. فى الواقع، انت لست كبيراً بالمره...

ـ انا فى الخامسة والأربعين يا غاى، واكره هذا لاول مره.

ـ لا زلت شاباً، وانت.. يجب ان تتزوج فتاه رائعه من نفس نوعيتك..

ولكننى اشك فى ان تكون هناك فتاه فى الدنيا تستحقك. وهذا لطف زائد منك، ولن استطيع التعريف عن التشريف الذى شرفتنى به.. ولكن.. لا استطيع.. فالأمر مستحيل.

ـ لن اناقشك... ولكن العرض سيبقى قائماً... والى الأبد.. اذا احسست فى المستقبل بقدرتك على القبول به، فستجعلنى احس بالسعادة.

واكملا طريقهما بصمت لم يقطعاه.. وكل طرف منهما مستغرق فى افكاره. واحست غابريلا بالمعرفه بالجميل لهذا الرجل الذى اعجبت به وائتمنته منذ اول لقاء لهما، ولكنها احست ايضاً بشعور ذنب غير مريح. فمن المريح ان لا تخبره الحقيقه كلها، فكراهيتها للخداع امر اساسى فى طبيعتها، ومع ذلك فكيف يمكن ان تشرح له عنها وعن شيلى فى هذه المرحله؟

ولم يتبادر الى ذهنها انه انما طلب الزواج منها لا حباً بمساعدتها، مع انه يرغب فى هذا كثيراً، ولكن لأنه يحبها حقا.

انه فى خريف حياته، وقبل ان تبلغ خريفها سيكون قد امعن فى شتاءه، مع انه كان يحس بأنه قادر على إسعادها، وان يقدم لها ارضيه يقف عليها مؤسسه علي الأمان والحب. وهى بحاجه للحب كما تحتاج الزهره الى الشمس.

ومر يوماً والطقس لا يزال رديئاً. وغابريلا تكره هذا الطقس. ولو ان الصيف سيكون ممطراً هكذا، فستشعر

بالجنون. كانت تجلس، وقدماها مكوران تحتها على اريكه مغطاه بالقماش، تحت النافذه فى غرفه جلوسها الخاصة، مستغرقه فى التفكير عندما ايقظتها دقه على بابها وما ان ادارت وجهها حتى ذهلت لرؤيتها السيده هارتنغتون تدخل. ولم تكن المرأه العجوز قد اعدت ذكر مشاجرتها ابداً، وقالت:

– لا تقفى يا غابريلا...

ولكن غاى كانت قد وقفت وقالت لها:

– اتجلسين معى هنا؟

– لا شكراً لك افضل الكرسى.

وجلست على الكرسى مرتفع المسند، وحذت غاى حذوها.

– اتمنى ان لا اكون قد ازعجتك.

– لا... ابداً.. لم اكن اعمل شيئاً.

– اود ان اتحدث معك نحو جيرلاد.

– ما الأمر؟ هل قام بمضايقتك؟

– يا الهى.. لا! انه اعقل صبى عرفته.. ونحن نصبح صديقان بسرعه.

ـ اوه.. انا... سعيده لهذا.

ـ لقد قارب جيرى الخامسه من عمره، وبعد سنه سيذهب الى المدرسه ولا يزال طفلاً.. ويجب ان يكون له مربيه جيده يا غابريلا.

ـ ولكنه فعلا طفل سيده هارتنغتون. ومع ذلك يستطيع القراءه قليلاً واليزابيت...

ـ انه بحاجة لمن يكون قاسياًمعه اكثر منك ومنها.. شابه مدربه تعلمه الألعاب وركوب الخيل، ومثل هذه الأمور، فوالده كان بإستطاعته الركوب وهو فى نفس عمره.

وصاحت غابريلا برعب:

ـ اوه لا..! لا يجب ان تجبريه على ركوب الخيل. انه يخاف منها وربما ورث هذا عنى، فالجياد هو الشىء الوحيد الذى يملأنى رعباً.

ـ هكذا اذاً، اترين، لقد اثرت على الطفل بمخاوفك وعاداتك. وكل آل هارتنغتون خياله ماهرون. وعندما يكبر جيرالد، سيكون مضطراً لركوب الخيل من اجل الصيد والقنص. وكلما تعلم بسرعه اكثر كان هذا أفضل!

– ارجوك سيده هارتنغتون! كل شيء ماعدا هذا!

وهزت الحماه كتفيها بنفاذصبر:

– لن نناقش الأمر الآن. ولكن صدقيني يا غابريلا، الأطفال يتغلبون سريعاً على هذه الأشياء. انظرى كم كان خائفاً فى البدايه من الكلاب. وهو يدخل الى اقفاصها ليطعمهما الآن. ولقد وعدته بجرو يكون له هديه ميلاده وهو سعيد بهذا.

– هذا امر مختلف، انه يحب الجراء والقطط الصغيره وليس الكبيرة.

ووقفت السيده هارتنغتون وهى تقول:

– حسناً، سنبحث امر المربيه فيما بعد. يجب ان تفهمى يا غابريلا ان جيري سيحتل مستوى رفيعاً فى المقاطعه مستقبلاً، ويجب ان ينشأ على فهم مسؤلياته.

وتوجهت نحو الباب، ثم توقفت واضافت:

– بالمناسبه، سيكون الكولنيل سيمور هنا لتناول العشاء هذا المساء... ولدى ضيف سينام ليلتة هنا. فارتدى احدى العباءات التى اشتريتها لك من لندن.

فخرجت واقفلت الباب ورائها.

عند المساء، وعلى الرغم من عدم رغبتها في النزول لمقابله ضيف السيده، كائنا من يكون، وارتدت العباءه التي طلبتها حماتها. كانت من قماش حريري ناعم تصل الى الأرض، ياقاتها المربعه وابرزت العنق، ولكن الأكمام كانت طويله، مربوطه عند الرسغين بشريط مخملي، وكذلك كان الحزام من اللون الوردي أضاف لوناً مريحاً لبشرتها البيضاء بلون الكريم، ولشعرها الأسود اللماع.

ـ وهي تهبط السلم، احست بإضطراب مجدداً. وما ان فتحت باب غرفه الجلوس حتى شاهدت الكولنيل سيمور، كان يقف قرب المدفئه يكلم شخصاً يجلس على كرسي مرتفع الظهر، وادار سيمور رأسه وابتسم لها. وقالت السيده هارتنغتون من مكانها فوق الصوفا التي في الزاويه:

ـ تعالي الى هنا يا غابريلا... هذه ارمله سيمون يا عزيزتي... غابريلا، هذه ابنه خالة سيمون سانثيا لانديز...

وصاحت سانثيا مصعوقه:

ـ من انت؟.. انا وغابريلا التقينا من قبل يا خالتي.

إفعلى شيئاً.. قولى انها مخطئه! اقسمى انك لم تشاهدينها من قبل!...

وقالت السيده هارتنغتون بدهشه!

ـ وهل تقابلتما من قبل؟

فردت سانثيا بابتسامه خبيثه!

ـ اوه، اجل.. لقد التقينا.

واحست غابريلا برعده بارده في جسدها، وتمتمت:

ـ إنه... عالم صغير جداً...

ـ اصغر مما تتصورين احياناً. كيف حال ما نعرفه سوياً عندما شاهدتية آخر مره؟

ـ كان بصحه جيده. الم تعتقدى هذا؟انا لم اشاهده من يومها.

واحس الكونيل سيمور، ان وجود سانثيا هنا سيثير المشاكل، فالتقط اطراف الحوار واحتفظ به حتى موعد العشاء، فوقفت السيده هارتنغتون لتقود الطريق نحو غرفه العشاء. وقالت وهم يجلسون الى المائده:

ـ مسكين يا ادوارد.. انت كالواحه فى منتصف صحراء

من النساء هذه الليله..

فضحك:

ـ عزيزتى هيلين، بل قولى كشوكه بين الورود!

والتفت الى سانثيا:

ـ كيف وجدت مضايفتك.. انت لم تشاهديها من زمن بعيد؟

ـ انها تبدو فى حالة جيّده، اظن انها سعيده لرجوع العائله. نيل سيتزوج فى آب... هل كانت كلارسيا العجوز على العشاء هنا ليله امس....

فقاطعتها خالتها معترضه:

ـ حقاً يا عزيزتى سانثيا يجب ان تبدى لها بعض الإحترام.

ـ خالتى العزيزه... انا لن استطيع تحمل اللايدى وثنغ هام ابداً.

وقالت غاى، مدافعه عن المرأه التى كانت لطيفه مع الهارد كاسل:

ـ اعتقد انها عزيزة!

وقال الكولنيل:

– انا موافق تماماً مع غابريلا.. لقد كانت اعز صديقه لوالدتي، مع انها، بالطبع، كانت اصغر عمراً بكثير.

وابتسمت سانثيا:

– آسفه يا ادوارد، أعرفت ان مزرعه «هيلتوب» قد بيعت؟

وتحول الحديث الى مواضيع مختلفة. ولاحظت غابريلا كيف كانت سانثيا لانديز تتجنب الحديث اليها، ولكنها لم تكن تعرف كم كان هذا اللقاء صدمةلزوجة شيلي بقدر ما كان صدمه لها. وبعد العشاء اعتذرت سانثيا بصداع اصابها وانسحبت الى غرفتها قائله:

– سأرتاح لنصف ساعه، ولن انام... ربما تأتينى الى غرفتي يا خالتي لنتحدث قليلاً قبل النوم.

– بالطبع سأفعل يا عزيزتي.

– عمت مساء يا ادوارد.. هل سأراك غداً؟ لم اغادر قبل الغداء.

فقالت السيده هارتنغتون:

– بالطبع.. سيتناول ادوارد الغداء معنا، هل لديك مواعيد؟

لا شيء مهم. وسأكون سعيداً للغداء هنا.

ـ الى الغداء اذاً...

وحدقت سانثيا بغابريلا، وأحنت لها رأسها قليلاً. وتوجهت نحوالسلم...

ولم تخفي لا فظاظتها ولا عدائيتها تجاه غاي.

إذاً، هي الحرب. وتمنت من كل قلبها لو إنها تعرف ماذا سيستخدم العدو من تكتيكات.

الحرب!

وأخذت سانثيا تفكر، بعد دقائق قليله في غرفتها، وعيناها تقدحان غضباً. وجلست إلى طاولة الزينه، لتمشط شعرها إستعداداً للنوم.

من السخف ان تترك اللقاء بتلك المرأه يكدرها. لقد مات سيمون منذ ثلاثة سنوات تقريباً... مده كافيه لكى تطرد شبحة من قلبها. ولماذا تحزن لأجل رجل لم يرغب فيها مطلقاً.. حتى انه كان يكرهها.

كم من السخرية ان يكون ابن خالتها، الذى تربت معه، هو الوحيد الذى اسر قلبها. لقد كان تخمين شيلى صحيحاً...

فقد حبت سيمون بالطريقه التى تعرف فيها الحب... بطريقه التملك الكامل.

والفتاه التى اعطاه سيمون اسمه، هى الآن التى تحتل قلب شيلى لانديز! ولكن، لو ان شيلي يفكر قدر أنمله انها سوف تعطيه حريته ليتزوج من غابريلا هارتنفتون، فإنه مخطئ كثيراً.

مليون مره لا!... لقد اخطتفت هذه المرأه سيمون منها... والآن... لقد قررت... قد جاء دورها..!

واستفاقت غابريلا فى اليوم التالى متأخره بعد ليله قلقه. ونزلت الى الطابق الأرضى، فلم تجد احداً. وتوجهت نحو الحديقه، وكانت فى منتصف الطريق باتجاه الإسطبلات عندما سمعت صوت جيرى يصرخ...

ماذا يفعلون به..؟ وأعار الخوف والغضب اجنحه لقدميها، فطارت كالريح بإتجاه الإسطبل. ووجدت جيرى، واقفاً يواجه جدتة، وقبضتاه مشدودتان ووجهه ابيض كالورق، وكانت الجده تمسك بكتفيه. والى جانبها حوزى يمسك بجاده صغير كستنائى اللون الأبيض القدمين، كان يتراجع الى الوراء، فى

محاولة واضح لرفض ما سيجرى.

ـ ماذا تفعلين له؟ كيف تجرؤين.

وتقدمت بسرعه لتخطفه من يديها، وعندما امسكت بها يد قويه، وقال الكولنيل سيمور بهدوء.

ـ إهدأى! ما الخطب؟

ـ انه جيرى... انها تجبره على ركوب الجواد. لقد قلت لها انه يكرهه...

وازاحها بلطف، ثم تقدمت نحو الآخرين، وكانت السيده هارتنغتون قد استوت فى وقفتها. ووجهها يخلوا من اى تعبير!

ـ انا اقدم لجيرالد جوداً صغيراً. لقد خاف منه كثيراً. وكنت اقول له سيبتهج عندما يركبه.

ـ بالطبع... وماذا فى ذلك ايها الرجل الصغير. ولماذا الدموع من رجل يهوى الطيران؟

وصاح جيرى باكياً:

ـ أكرهه!

ـ بالطبع لا... انت لا تعرفه...

وصاحت به جدته أمره... وهى تضحك:

ـ لا تكن جباناً يا جيرالد.

وحمله الكولنيل، بعد ان اخفى جيري وجهه فى كتفه، فاكملت الجده كلامها:

ـ «وايتسوكس لن يؤذيك... انظر! انه وديع كالحمل. لقد تعلم والدك ركوب الخيل وهو اصغر منك بسنه.. وسوف يخجل منك..

وهز الطفل رأسه ورأسه لا يزال مدفوناً فى كتف الكولنيل الذى قال:

ـ لا يا هيلين.. جيري ليس جباناً.. لقد صدم من مشاهده شىء اكبر بكثير من جرو أمامه. وبالطبع سيصبح هو و«وايتسوكس» اصدقاء.. تعال لأعرفك إليه وانزل الطفل الى الأرض، وامسكه بيديه ليقوده نحو «البونى» الذى وقف هادئاً الآن.

وكان الصبي قد اصبح لونه احمر فاقع من مهاجمة جدته له، ولكنه الآن توقف عن البكاء، وانحنى رأسه ليهمس له للحظات فهز رأسه، ثم تقدم نحو «البونى»، وعيناه تلمعا، وهو يضغط على فمه لصغير كى لا يرتجف... لا يمكن له ان يكون

جبانا.. والجميع يراقبه... ولكن ما من احد يعرف مدى الرعب الذى كان يعانيه، حتى والدته، وحمله الكولنيل ليضعه فوق المهر الصغير.

ـ أرأيت؟إنه لا يعض.. غداً سنحضر له بعض السكر. ما رأيك يا صديقي وتردد الطفل، ثم ادار رأسه نحو جدته، وقال بصوت واضح :

ـ شكراً لك.. ولكن.. كنت اتمني لو كان جرواً.

فقالت جدته:

ـ ستحصل علي جرو، طالما انت طفل مطيع.. وعندما يكبر الجرو ليصبح كلباً سوف يركض أمامك وأنت تركب جوادك.

ورق صوتها القاسي وهي تتابع:

ـ والان جيرالد ياحبيبي.. ا ظهر لي مدي رجوليتك... إركب فوق «البوني»

واترك السائس يسير به حول الباحه.

ورد عليها الكولنيل بهدوء:

ـ اظن ان هذا يكفي اليوم.

وتجاهلته السيده، مثبته عينيها علي الصبي

ـ هيا جيرلند.. لترضيني فقط.. فكر كم سيكون والدك فخوراً.

ونظر إليها جيري يائساً، وهو يحس بالإرادة المتفوقه التي تغلب علي إرادته.

ثم، وقبل ان يتمكن الكولنيل، او غابريلا انيتدخلا، وبأشارة من السيده هارتنغتون، تحرك السائس، وقال للطفل:

ـ أرأيت يا سيدى.. ليس هناك ما تخاف منه، أمسك باللجام، هكذا، واضغط بساقيك.. و الآن انا ممسك بك، فلا تتركني وبدأ، ببطء، يسير«بالبوني» حول الباحه. ولمع الغضب في عيني الكولنيل، فاستدار إلي الجهه الاخري من المهر.. واخذت السيده، وهي الوحيده المسروره بهذا الحدث، تشجع الطفل.

ـ برافو!.. هذاليس سيئا، اليس كذلك ياجيرى؟

ولكن جيرى لم يرد، وما ان رفعه الكولنيل علي ظهر الحصان ووضعه على الارض، حتي إستدار نحو امه وزراعاه مفتوحان وكانه يسعي للحمايه من شئ ما، و قبل ان تستطيع الوصول إليه.. وقع منهاراً فوق كومه من الحجاره... بعد نصف ساعه، دخلت غابريلا المكتبه حيث كان

الكولنيل يقف... فسألها:

ـ كيف حال الصغير؟

ـ قال الطبيب انه سليم، وما حدث له من فرط الخوف.
وعليه ان يرتاح ما تبقي من يومه، لقد اغمي عليه من كثرة الخوف.

ـ لن يخاف ثانيه يا عزيزتى.. اعتقد ان هيلين كانت قاسيه ولكن القساوه احياناً تنفع.

وتقدمت غابريلا نحو المدفأة. ثم نظرت إليه من فوق كتفيها:

ـ إدوارد.. سأغادر هذا المنزل اليوم، ومهما قلت انت او اي احد اخر.

سآخذ جيري معي قبل ان تحطمه جدته... او تقتله!

ـ ولكن يا طفلتي العزيزه لا يمكنك هذا، لقد قلت لك من قبل...

ـ لست اهتم! بإمكانها اللجوءالي المحاكم.. سأقتلها... وساثبت إنها غير كفؤ لرعايته.

و صمتت بعد ان دخل كلايتون ليقول:

ـ تحيات السيده، سيدة سيمون هل لك، و الكولنيل، ان

تذهبا إلي جناحها.

ـ اجل وعلى الفور.

وما ان غادر الخادم حتى نظرت إلى رفيقها متحديه:

ـ هذه فرصتى لإنهاء المسأله.. و لن اضحى بجيرى مهما قالت!

و تابعها دون كلمه خارج الغرفه، و قلبه يخفق.

و لكن عندما دخل غرفة جلوس السيده الخاصه، لم يبدو احدمتعقل اكثر من السيده هارتنغتون، التي كانت تقف و الى جوارها تجلس سانثيا لاندز.

ـ اعتقد ان هذا لك يا غابريلا. لقد ارسلت اطلبك كي نناقش هذا... ولن تندهشي إذا اصريت هذه المره وقطعاً، ان تغادري منزلي هذا اليوم، وكان في يدها رسالة شيلي لها و توقف قلب غاي عن الخفقان، و ادركت تماماًماذا يعني هذا للمعركه التي صعدت الي هنا لتخوضها...

معركه.. خسر تها حتي قبل ان تبدأ...

وحدق الكولنيل سيمور بالسيده هارتنغتون وكأنها مجنونه:

ـ تترك ا لمنزل! يا عزيزتي هيلين، مثل هذا الامر هوخارج اي بحث.

ـ لحظه يا إدوارد... قد تكون هذه الشابه ارملة ولدي.. و لكن الواقع انها اصبحت عشيقه شيلتون لانديز، وهذا بالتاكيد يحررني من أية مسؤوليات تجاهها، أليس كذلك؟

فصاحت غابريلا:

ـ اوه.. هذا ليس بصحيح. إدوراد ليس صحيحاً إنني...

و صمتت، وعينا سانثيا مركزتان علي وجهها، وتعبير ساخر في عينيها.

– غابريلا...

وإلتفتت اليه لتلتقي بعينه، ولم تترك الالام فيهما وقد اربكها تشوش تفكيرها... ها هي قد خسرت آخر صديق لها... و قالت:

– بإمكانك تصديق ما يقال إذا شئت! ولكن هذا ليس صحيحاً.. اقسم لك.

فإلتفت الي السيده وقال بهدوء:

– ربما وضحت عذرك في إطلاق مثل هذا الإتهام يا هيلين.

– عزيزي إدوارد.. بالطبع ستنكر كل شئ... و لكنني اظن انك ستري الدليل.. واضح جداً. و سوف نتجاوز واقع إنها زارته في منزله، وكانت معه لوحدهما لساعات. و انت تعرف شيلتون كما اعرفه. إنه ليس من النوع الذي يرضي بالعلاقه الأفلاطو نيه مع إمرأه جميله، وغير محافظه تماماً، وعندما زارت سانثيا زوجها دون سابق علم، وجدت غابريلا هناك.. في ظروف... واعده كثيراً... وكان واضحاً ان الخدم قد تلقوا اوامر بعد إدخال احد الي المنزل.

وقاطعتها غابريلا:

ـكولنيل سنيمور.. لقد ذهبت فعلا لزيارة شيلي.. تلك الليله التي اعدتني فيها الي المنزل.. هل تذكر؟ لقد قلت لك كم كنت متضايقه.

و قالت السيده هارتنغتون:

ـ لا بأس، فهذه ايام الحريه، سأتسامح بمسألة ذهاب الفتيات الي منزل رجال دون مرافق.. و لكن هنا... و للأسف... دليل يظهر ما هي العلاقه بينهما، و الافضل ان تقرأ الرساله بنفسك..

و اخذ ها الكولنيل، ونظر الي اول سطر فيها، ومد يده ليعطيها لغابريلا، وقال بهدوء:

ـ هذه لك، كما اعتقد.

و صاحت السيده هارتنغتون:

ـ إدوارد!

و قبل ان تتمكن من انتزاعها كانت اصابع غابريلا قد اطبقت علي الرساله.

واخذت تطويها كالكره، و عيناها علي وجه سيمور:

ـ شكراً لك!

وصاحت السيده هارتنغتون بغضب:

ـ هذا امر لا يغتفر! بالطبع.. لو انك اصبحت عبداً لمثل هذه...

ـ هذا يكفي يا هيلين!

ولم يكن هناك من مجال لتجاهل اللهجه الآمره في صوته. فهزت سانثيا كتفيها وقالت:

ـ لا تقلقى يا خالتى... لا من شك اننى سأحصل على الكثير من الدلائل... إذا اردت ان اطلق شيلي... ولكن انت تعلمين اننى لا اميل الى غسل غسيلى الوسخ علناً.

فقالت لها الخاله:

ـ عزيزتي.. هذا من شأنك، اما شأني فهو ان يتربى حفيدى... والذى احمل مسؤليته قانونياً.. فى محيط ملائم.. لقد اثبتت والدته انها ليست مناسبه اخلاقياً لتربيه طفل صغير. ولذا اصر على ان تغادر هذا البيت اليوم، ولقد كنت اتمنى لو انها غادرته منذ زمن بعيد، ولكننى سمحت لنفسى ان اكون متساهله جداً.

وردت عليها غابريلا ببرود:

ـ هذا اذا قبلت الذهاب! واذا قبلت سآخذ جيرى معى... ولن تمنعنى كل القيود القانونيه فى الدنيا. وبعد ما حدث هذا الصباح.. لن أتركه هنا كى ترعبيه وتدمرى حياته.. وكى تستأسدى وتسيطرى على ارادته، كما استأسدت وسيطرت على والده!

واحمر وجه السيده هارتنغتون، ثم اصفر وجهها كالأموات:

ـ سنرى... فى هذا الأمر، على الأقل، عليك ان تدعمنى يا ادوارد. انت تشاركينى الحق القانونى برعايه جيرالد. والأفضل ان تحذر والدته من محاوله أخذه، وإلا سوف اعيده...

وصاحت فيها غاى:

ـ يمكنك القتال حتى يسود لون وجهك... الرساله لم تعد معك.. وليس هناك المزيد ليجده جواسيسك.. بالطبع فإن من سرقها هو بيرسونز...

واشارت السيده بيديها بنفاذ الصبر:

ـ هذا لن يوصلنا الى شىء... انا لن اتناقش معك. وإذا

اصريت على اخذ جيرالد فافعلى.. ما اصر عليه هو ان تغادرى هذا المنزل فوراً. ولكننى احذرك مره اخرى، واذا ذهب الطفل معك فسوف اتخذ خطوات لإجبارك على اعادته الى كنف وصايته القانونيه. وسوف اثبت انك غير مناسبه لحضانته.

وردت غابريلا وهى ترفع رأسها بكبرياء:

– هذا كله جنون... جيري هو لى... ولا نريد شيئاً منك.. وسأعمل لأعيله حتى افقد عظام اصابعى لأجله.

وبدا فى صوت العجوز السخريه وهى ترد:

– هذا يبدو دراماتيكياً وبطولة منك.. ومع اننى اشك فى ان يؤثر ما سأقوله عليك.. اقترح، لو انك لديك ذره اهتمام بسعاده جيرالد، وحياته، ان تتركيه هنا، بدل ان تعرضيه ليكون هدف معركه سوف تلى تصرفك الأنانى. وسوف اطلب سياره لتوصلك الى محطه القطارات.. ارجوا ان توضبى حقائبك.

ودون ان ترد، توجهت غابريلا نحو الباب، وفتحه لها الكولنيل سيمور، ولكنها لم تنظر اليه، فقد كانت مقتنعه ان الجميع ضدها. ومثلها مثل مخلوق يتألم و قد حُشر في الزاويه، لم تعد قادره علي التمييز بين الصديق و العدو.

و لحق بها قرب السلم، و إستدارت عندما سمعته يناديها:

ـ حسناً.. اعتقد انك الان الي جانبها؟ و سوف تفعلان المستحيل لأخذ ولدي مني... انت تظن انني غير ملائمه....

و تلاشي صوتها، و عضت علي شفتها بقوه و قد خرجت الدموع الي عينيها.

و في لحظات اصبحت المراره التى احس بها من الماضى:

ـ الا اظن هذا... لا تشعرى هكذا تجاهى... ارجوك يا عزيزتى.

وحطمـهـا لطفـه، كـمـا لا يسـتطيع شىء ان يحطمـهـا، فانفجرت بالبكاء، ووقفت هكذا ويديها تضغطان على جهة قلبها. وخوفاً من مرور احد الخدم بهماامسك بزراعاها وقال:

ـ اين نستطيع التحدث على انفراد؟

ـ فى.. فى غرفه جلوسى الخاصه.

وما ان دخلا واقفلت الباب حتى قالت دون ان تنظر اليه:

ـ تلك القطه الشريره العجوزه المتسلله.! لابد ان دخلت غرفتى وانا فى باحه الإسطبل.. لقد تركت رساله شيلى تحت الوساده.

ـ غابريلا! ماذا هناك بينك وبين شيلتون لانديز؟ اسألك لأنني احبك... ولأنني احس بحريه، وعلى الرغم من كل شيء، لأطلب منك ثانيه ان تتزوجيني...

ـ انا وشيلي نحب بعضنا.. ولكن.. ليس كما تعتقد هاتين المرأتين... لم نستطيع شيئاً حيال الواقع... الأمر هو احد الأمور التي تحدث.. إدوارد.. اوه! سأدعوك نيد... لم اكن اعلم انه متزوج في البدايه.

ـ ولم يكن لديه النبل الكافي ليقول لك! سوف اقتله!

ـ ارجوك.. لا ترتكب اي حماقه. لست اهتم بما تفكره تلك العجوز... ولكن انت صديقي... صديقنا معاً... ارجوك يا نيد... شيلي لم يحاول قط ان يجعلني ما اتهمتاني به.. ولقد ابتعد... بسبب... اوه! ابتعد ليجد طريقه تجبر زوجته على قبول الطلاق. بالتأكيد انت تعرف ما هو نوع ذلك الزواج؟

وتقدم الى النافذة ليحدق الى الخارج بلا شيء. فتابعت:

ـ ارجوك لا تلوم شيلي.. لا يمكنك ان تحب بإرادتك، انت تحب غصباً عنك.

ـ لا الومه على حبه لك. فلست ارى كيف يستطيع ان

يقاومه. ألومه لأنه قال لك، فى وقت لا يملك شيئاً يقدمه لك.

وادركت برعب انها نسيت امر جيرى:

ـ نيد.. يجب ان تساعدنى فى قضيه جيري. الا اذا كنت تؤمن ان على ان اتركه. يجب ان اخذه معى...

ولكنك لا تستطيعى.. ويجب ان تواجهى واقع ان عليك تركه هنا. ما قالته جدته صحيح ولم يكن تهديداً... انا وهى اوصياء عليه، الى ان يبلغ السن القانونيه مهما كان هذا الأمر غير منصف. وسوف تقعين فى مصيده معقده إذا حاولتى تغيير الترتيبات، وانا اعرف هيلين. سوف تمضى حتى النهايه فى سلب اخر ذره فى سمعتك.

ـ ولكننى لم افعل شيئاً!

ـ اعلم.. ولكن المحامين اناس قذرون وسوف يصدق الناس الأسوء بدل الأفضل عن مرأه جميله مثلك.. فكرى بالطفل يا عزيزتى.. سوف يحتاج الى خلفيه نظيفه تواجة حياته المستقبليه... ولكن اعدك.. فخلال اسابيع سأتمكن من اقناعها فى ان تعودى...

ـ لا اريد العوده... ابداً.

ـ اذاً، سنرتب الأمور لك كى تشاهديه كل شهر مره على الأقل. واعدك ان اعتنى به، وسوف استخدم حقي بالوصايا كاملاً. وسوف احضره بنفسي اليك. ويجب ان تصدقى ان من الأفضل له البقاء هنا، فما نوع الحياة التى تستطيعين تقديمها له فى مثل هذه الظروف؟

لوحدها.. وفى المقصوره الفاخره التى استأجرها لها الكولنيل سيمور، فى القطار حدقت غابريلا خارج النافذه. طالما بقيت حيه، لن تفهم ابداً كيف إستطاعت ان تفعل ما فعلته، ان تفترق عن جيري.. ولكنها عرفت ان سيمور على حق، فهذه افضل واعدل طريقه، لها وللطفل. ومدت يدها الى حقيبتها فأخرجت المرآه وعلبة البودره. ووقع مغلف من الحقيبه، فنظرت اليه، ثم تذكرت ان اليزابيت قد احضرته لها ساعه كانت توضب حقائبها. وكان معنوناً بعنوان المسرح الذى كانت تعمل فيه، ثم محول الى وكيل اعمالها، ثم الى المحامى، واخيراً الى القصر، وعليه طوابع أمريكية وكتب على جهته الأخرى:

«إذا لم يصل، يعاد إلى جاك هالسي.. وست ستريت 42.. نيويورك... الولايات المتحدة».

وفى لحظة مزقت الغلاف، وأخذت تقرأ الرسالة:

«غاى يا بطتى»:

كيف حالك، بعد كل هذا الزمن؟ هل أنت سالمة، أرجو هذا من أعماق قلبى... وأرجو كذلك أن لا تكونى قد نسيتى صديقك القديم جاك... لقد مررت فى ظروف صعبة خلال الحرب، وحاولت جاهداً العودة إلى الوطن لأخدم بلادى.. والملك. وذهبت إلى كندا، ولكنهم لم يحولونى إلى البلاد. أما الآن فقد حصلت على وظيفة بعد أن قضيت سنوات مفلساً أنتقل من برودواى إلى هوليود. ومنذ حصولى على الوظيفة لم أتراجع قط.

ولقد كتبت تلك القطعة الموسيقية الرائعة التى كنا نتحدث دوماً عنها وحصلت على نجاح رائع فى برودواى! هل سمعت عن نجاحها؟ لقد أسميتها «النجوم فى عينيها» وألف المسرحية جون. ك. هالسى.. وسأحضر إلى لندن خلال ستة أسابيع لأعرض المسرحية هناك لحظة نحصل على مسرح. وبالطبع ستأخذين دوراً فيها. فلا ترتبطى بشئ مهم.. واتصلى بى كى أعرف أين أستطيع الاتصال بك، فهذا شئ مهم. كم سأسعد لرؤيتك مجدداً.. مع كل حبى وإلى أن نلتقى..

لك، دائماً.. النحيل.. جاك».

وكانت الرساله على ورق توج بكلمات: «جاك. ك. هاسلى للإنتاج الفنى المحدوده» شارع رقم 42. نيويورك ستى.

وصاحت غابريلا بإبتهاج:

ـ كم جميل منك ان تتذكرنى يا جاك.

ولكن، ما ان نظرت الى تاريخ الرسالة، حتى اكتشف، لخيبه املها، ان تاريخها يعود الى شهرين، وهذا يعنى ان لو حضر جاك الى لندن، فقد مضى عليه ثلاث اسابيع هنا. ولابد أنه اتصل بالعديد من الأصدقاء، وعلم عن زواجها، ولسمع انها اعتزلت المسرح ولابد انه تعاقد مع فتاه اخرى للعمل. فتنهدت، فمن حظها التعيس ان تفوتها هذه الفرصه. والتفكير فى العوده الى حياتها السابقه ملأها بالسعاده لولا تفكيرها بجيرى... وشيلى.. اين هو الآن يا ترى؟ وما هو نوع الدور الذى سيلعبه فى مستقبلها؟

وكان الظلام قد حل عندما وصل القطار الى محطة فكتوريا. فحملت حقيبتها وخرجت لتطلب من الحمال وضع الصندوق الكبير الذى يحتوى على اشيائهافى مكتب المحطة

وان يحمل لها الحقائب الصغيره الأخرى.. انها تعرف صاحبه منزل عجوز، وهى واثقه ان السيده دنت سوف تجد لها مكان ترتاح فيه، لهذه الليله على الأقل. واسرعت خلف الحمال، ولكنها لم تخط بضع خطوات حتى احست بيد على كتفها.

– حبيبتى!كم رائع ان اراك!

فارتعشت بجنون وبهجة لسماعها ذلك الصوت:

– شيلى! ماذا. ماذا تفعل هنا؟ كيف عرفت...؟

– كيف عرفت انك قادمه؟ لأنك ارسلت لى برقيه بالطبع.. تطلبين منى ان الاقيك هنا!...

– برقيه؟ انا لم ارسل لك برقيه!

فضحك وقال:

لا بد إذاً، وان الجان من بعثها.. تعالى يا حبيبتى..

وامسك بزراعيها فتذكرت الحمال.

– شيلى عندى صندوق فى المكتب يجب احضاره.

ولم يستغرق الأمر وقتاً طويلاً، عاده تستغرق معاملات اخراج الحقائب نصف ساعه، ولكن شيلى كان له طريقه

خاصه، فخلال عشر دقائق كان كل شيئاً منتهياً.

وبعد العشاء جلسا فى المطعم يتناولان القهوه فقال لها:

– والآن يا حلوتى.. اخبرينى كل شىء.

واخبرته وأصغى اليها دون ان يقاطعها.. وصدمه ان يعرف ان سانثيا قد ذهبت عند خالتها. ولكنه علم انه كان احمقاً عندما لم يفكر بأن شيئاً مثل هذا سيحصل. وقال لها معقباً:

– اعتقد اننى كنت مهملاً.. كان على ان افكر بهذه المشكله قبل ان تحدث.

– وماذا كنت فعلت؟

فهز رأسه دون ان يجيب. ولمعرفته بأخلاق سانثيا، فما فعلته امر طبيعى، ولكن غضبه الشديد كان موجه للسيده [illegible]اتون:

– وماذا فعل سيمور؟ لابد انه قادر على شىء... انه الوصى على جيرى ايضاً.

– كيف يستطيع فعل شىء، ومجلس الوصايه على الوقف الى جانبها؟ انا لست افهم هذا القانون. ولكن يبدو فى هذه

الحاله يفعلون ما يشاؤون بولدى. لم يعد لى بعد الآن.

ـ حسناً، دعك من هذا الآن.. الشىء الأولى ان ندبر امر مبيتك الليلة. وغداً سنحاول رسم الخطط. لقد حان لك ان يكون لك محام خاص، يستطيع على الأقل ان يفهمك موقفك. فلست افهم كيف تستطيع السيده هارتنغتون منعك عن ابنك. انتظرى لحظة، سأرى اذا كان يمكن تدبير مكان لقضاء ليلتك...

ورقابته يبتعد، واخذ قلبها يخفق بسرعه، وعلمت انه لم يمضى وقت طويل حتى تواجه خيار ان تفضل بين شيئين، إما جيرى واما الرجل الذى تحب.. او ان لا ترى شيلى مطلقاً. لابد ان هناك طريقه للخلاص، طريقه لا تفسد عليها حياتها ولا تفسد حبهما.

وعاد اليها، وقالت له وقد رأته عابساً:

ـ ما بك؟

ـ ليس هناك من غرفه فارغه فى هذا الفندق. واتصلت بنصف دستة من الفنادق فلم اوفق. اسمعى.. لدى شقه صغيره فى شارع سانت جايمس. انها شقه مفروشه مع خدمتها. وستكونين مرتاحه تماماً هناك حتى الغد...

ـ ولكن..

ـ على كل لنذهب الى هناك ونتناقش واذا كان لديك حل آخر فأنا مستعد للإقتناع.

وعندما خرج من المطعم ادركت كم هو محق، فالطقس الذى كان رائعاً ساعه وصولها تحول الى طقس ردىء. وهما فى السياره متجهين الى الشقه سألته:

ـ وانت ماذا ستفعل؟

ـ سأكون بخير.. سيأخذنى السائق الى شقه صديق لى لأقضى الليله عنده.

ولم تطل المسافه، ووصلا. فوضع معطفه فوق رأسها يحميها من المطر الذى اخذ يتساقط فجأه. ووقفت تنتظره داخل الردهة وهو يتحدث الى السائق. وما ان عاد حتى اتجها الى المصعد وهناك امسكت باكمام سترته:

ـ شيلي.. انت مبلل

فضحك

ـ السماء تمطر وكأنها النافوره.. وهذا هو طقسنا المميز. لا بأس يا عزيزتى يمكننى تغيير ملابسى..

ـ لابد ان تفعل.

وأوصلهما المصعد الطابق المقصود. وفتح لها الباب، فدخلت ثم اقفل الباب ولحق بها ليدخلها الى حجره استقبال صغيره وقال:

ـ غرفه النوم هناك خلف ذلك الباب. ثم المطبخ الصغير.

ـ انت مبتل كثيراً يا شيلى، كف عن الكلام وبدل ثيابك.

ـ اوكى يا سيدتى..

وحمل حقيبتها واختفى فى غرفه النوم.. وخلعت قبعتها ومعطفها، وسارت نحو المرآه المعلقه على الحائط، وكانت العينان اللتان حدقتا بها فى انعكاس المرآه متعبتان من القلق.

ورجع شيلى وقد بدل ثيابه، وقال لها:

ـ متعبه؟

ـ اجل.. انها رحله مريعه.

ـ إذاً سأذهب، وسأتصل بك غداً.. تصبحين على خير!

ـ ليحفظك الله.

وخرج. وسمعت الباب يقفل ورائه، وعلمت انها كانت غبيه

لقدومها الى هنا...

افضل شيء ان تسمع نصيحته وتخلد الى النوم، واسندت رأسها على المقعد قرب المدفأه الكهربائية، واغمضت عيناها، وتدحرجتا دمعتان كبيرتان على خديها، واندفعتا بقوه من بين جفنيها.

ثم، احست بالرعب الشديد، وادارت رأسها بسرعه بينما كان باب الغرفه يفتتح. وقال شيلي:

– اسف يا غاى، ارجو ان لا اكون افزعتك، لقد نسيت محفظتي... ولكن.. حبيبتي، انت تبكين...!

وتقدم نحوها ليركع امام المقعد، ولف زراعاه من حولها.

– اللعنه! لا يمكن لهذا ان يستمر. ما الفائده؟ يجب عليك ان توقفى كل شئ وتأتين الى.. فنحن لا نستطيع ان نفترق.

وتعلقت به، ولم تعد تعى أي شيء سوى حاجتها الى الراحة بقربه، ولكن، فوق صوت ضربات قلبها، واعلى من ضجيج النبضات في رأسها سمعت صوتاً تمنت واو تسخر الدنيا ولا تسمعه، اجبرها ان تصغى اليه... يذكرها بأن الغد قادم... وفى ضوء نهاره سوف تواجه عواقب اى قرار تتخذه الليله.

وكانت شفتا شيلى قد اقتربت من شفتيها، وعلمت انه لو

قبلها، فلن تستطيع ان تقاوم. فوضعت يديها على صدره وابعدته. متساءله:

ـ وماذا عن سانثيا؟

ـ اسمعى علينا مواجهة هذا بصراحه. وللمره الأخيره.

ـ ليس وانت تضمنى هكذا.. لا استطيع التفكير.. ارجوك.

وتركها بلطف.. ووقف ينظر اليها. وقال:

ـ حسناً علينا ان نفكر.. فقد وصلنا مفترق الطرق، وعلينا ان نقـــرر أى طريق نسلك.. ربما هناك من خطط لطريقنا نسلكه.. ربما هناك من خطط لطريقنا فلدى فكره مبهمه عمن ارسل البرقيه لى.

ـ وماذا تعنى؟

ـ يا حبيبتى... سانثيا وحدها تعرف عنوانى فى لندن.

ـ سانثيا.! اوه لا...

ـ بالطبع... ولكن لست ادرى ما اذا كانت تريد مراقبتنا لتحصل على اثباتات ضدنا ام لمجرد تخريب المستقبل لنا.

ـ لا اصدق فى انها ترغب فى الطلاق منك.

– لو ذهبنا معاً الى اميركا.. استطيع تحرير نفسى بسهولة اكثر.

– اتعنى.. ان بإمكانك تطليقها هناك؟

– اجل.. ولكننى ساكون صريحاً معك.. الطلاق لن يثبت هنا. ولن استطيع العوده. فلسوء الحظ زواجنا مسجل هنا.

– وهذا يعنى ايضاً التخلى عن جيرى نهائياً.. اوه شيلي... ولكننى احبك...

– اسمعي يا غاى: نحن راشدان، ونستطيع مواجهة الحقائق. لقد تخليت عن جيرى، وطالما تعيش تلك الأرمله العجوز فلن تعودى ابداً الى هناك ولو على جثتها.. وقد يصر على حقك برؤيه الطفل فى اوقات معينه، ولكن هذا سيصعب الأمر عليك وعليه.. ولك الحق فى عيش حياتك كما تشائين... واكره ان اقول يا حبيبتى.. ان الأطفال ينسون.

– لو قال احدهم هذا ثانيه فسأصرخ! كيف له ان ينسى امه؟ كيف سأتركه ينسى؟ لنفرض انه مرض... او ان شيئاً حدث له، وكنت بعيده عنه؟ اعتقد اننى سأموت عندها. لن استطيع السفر خارج انكلترا يا شيلي.

ـ هناك طريقه اخرى، ولكن عليك بالصبر كي لا تجرك سانثيا الى المشاكل. زواجي منها لم يكن زواجاً فعلياً.. وقانوناً لي الحق ان افسخه.. وقد تكون طريقه طويله وصعبه، ولكنني سأبدأ التنفيذ منذ الغد.

ـ ومع الوقت هل ستصبح حراً؟

ـ لست ارى اي مانع. ولكن هذا يعني ان لا نرى بعضنا كثيراً. ولكن اذاً كانت النهايه ان احصل عليك.. فسأنتظر.

وظنت غاي انها لا تنام تلك الليله. ولكنها غطت نوم عميق عندما لمست رأسها الوساده. وما ان خرجت من غرفه النوم في الصباح حتى سمعت قرعاً على الباب، ودخل خادم في ثياب بيضاء يحمل صينيه الفطار ليضعها فوق الطاولة.

ـ صباح الخير سيدتي.

ثم خرج وعاد بصينيه اخرى، فقالت:

ـ الفطار لواحد فقط.

ـ لم افهم هكذا يا سيدتي.. ظننت السيد لانديز هنا.

ـ السيد لانديز ليس هنا.

وقبل ان تكمل كلامها وتأمره بإخراج الصينيه الأخرى. رن جرس الباب فتمتم:

ـ عذراً سيدتي.

وفتح الباب، وقد تبعته امرأه نحيله بمعطف فرو وقال الرجل بكل برود:

ـ هذه السيده لانديز، يا سيدتي.

وحدقت غاي بزائرتها غير المرحب بها. وردت سانثيا الى نظراتها ببرود وهي تمرر اصابعها فوق خطوط فمها.. وعلمت غاي ان شيلي على حق، فسانثيا من ارسلت البرقيه، وقد اتت الى هنا وهي تتوقع ان تجده معها. واشارت غاي الى الخادم الذي بدى مرتبكاً:

ـ بإمكانك الذهاب.

ـ اجل يا سيدتي.

وقالت سانثيا:

ـ صباح الخير. اخشى ان تكون زيارتي مبكره. الم يستيقظ شيلي بعد؟

ـ شيلي لم ينم ليله امس.

فضحكت سانثيا :

ـ حقاً! اكره ان اكون فظه، ولكن.. انت تحبين اكل كعكه غيرك وامتلاكها. اليس كذلك؟

ـ لست افهم ما تعنين.

ـ حقاً! لا تخافي، لم احضر الى هنا لاحصل على دليل. فقد كنت اتوقع وجودك...

ـ تعني انك كنت متأكده، بعد البرقيه التي ارسلتيها.

ـ شأني مع شيلي وليس معك.. على الأقل ارى انك تتوقعين حضوره.

وقبل ان ترد عليها غاي، سمعتا باب الغرفه يفتح ودخل شيلي الغرفه بعد لحظه، وهل يقول بمرح:

ـ أسف لقدومي باكراً يا حبيبتي...

وشاهد من معها، فوقف جامداً. ووجهه بارد كقناع من ثلج. ثم قال:

ـ هذا سرور لن اتوقعه يا سانثيا.. هل اتيت لتناول

القطار؟

– ليس تماماً.. واخشى ان اكون متطفله.. ولكن كان امامى بضع ساعات فى لندن، وفكرت ان اتحدث معك.. فقطارى يغادر الى كرونيل عند العاشره.

– إذاً من الأفضل ان اوصلك الى المحطه.

– فكره جيده.. يمكننا التحدث فى الطريق.

– من الأفضل ان نذهب إذاً. سيارتى فى الخارج.

وتقدم من غاى وامسك بيدها:

– هل لك ان تنتظرني؟ لن اغيب اكثر من ثلاث اربا ع الساعه.

فترددت قليلاً:

– قد يكون لدى موعد. على ان اتصل اولاً بالهاتف.

– إتركى لى إذاً خبراً اين استطيع ان اجدك. هيا يا سانثيا، يجب ان لا تتأخرى او لن تحصلى مقعد.

والتفت سانثيا الى غاى:

– بالمناسبه جيرالد سعيد جداً، ولا حاجه لك للقلق عليه.

وخرجت لتلحق بشيلي. وفي السياره قالت له:

ـ ما الأمر يا شيلى؟ تبدو كأنك كنت تفكر عميقاً.

ـ ليس كثيراً. لقد كنت افكر كم انت قطه ماكره.

ـ اكره القطط، ولكن لن اتوقع منك الثناء على.

ـ لماذا قلت للمسكينه انَّ طفلها سعيد بدونها؟

ـ بالتاكيد هى لا ترغب فى ان لا يكون سعيداً؟

ـ كم نحن زوج وزوجه رائعان! وكم زواجنا حقيقى! على كل شىء يا سانثيا، انا سعيد لهذه الفرصه لأقول لك على خططى. لابد انك موافقه معى ان زواجنا «التعس» هذا قد طال امده... وإذا كنت شريفه كفايه لتمنحينى حريتى.. ساكون مستعداً لتوفير بعض الإثباتات الأخرى لك.. بعيداً عن غاى.

ـ شيلى.. لقد قلت لك مراراً اننى لا ارغب فى ان تنتشر اخبار خلافتنا فى المحاكم.

ـ وهل تصرين على هذا؟ إذاً لا يمكن ان تلومينى إذا اتخذت الخطوه الوحيده الممكنه.

ـ وماذا تعنى.

ـ اكبرى قليلاً يا سانثيا. انت تعلمين جيداً ان زواجنا مهزله. وقد جنبتك حتى الآن الفضائح العلنيه، وليس لدى رغبه فى تهديدك، ولكنى اقول لك، اذا لم توافقى على الطلاق. وحاولت جر غاى فى مشكلتنا، فسوف اذهب الى محامي اليوم وادبر امر فسخ زواجنا بادعاء انك ترفضين العيش معى كزوجه.

ـ ولكن يا شيلى لا يمكنك فعل هذا! لأننى جئت اليوم لأقول لك اننى عرفت غلطتى، ومستعده للعوده اليك كزوجه بكل معنى الكلمه.

نجاح وأضواء

آخر مره ظهرت فيها غاى على مسرح «ديادوم» كانت «الثالثه من الصف الأول» كما يذكر شيلى.. وكم بدا هذا بعيداً الآن، بينما كانت غاى تسير عبر مدخل المسرح. وتتوقف عند مدخل الإستعلام لتقول:

ـ لدى موعد مع السيد هاسلى.

ـ لحظه يا سيدتى.. على ان اتاكد اولاً.. يا إلهى! انت لست! انت لست غاى برنت...

ـ مرحباً شارلى.. هل عدت من الحرب.

ـ اجل لقد عدت. هل تشاركين فى استعراض هاسلى؟

ـ اعتقد هذا.

ـ تفضلى على الفور... تعرفين الطريق؟

ـ أراك فيما بعد يا تشارلى.

كانت قد وقعت اكثر من عقد عمل فى الغرفه التى تقرع بابها الآن.

ولم تتلق رداً على دقها الأول. ودقت ثانيه، ولم تتلق رداً من داخل الغرفه، ففتحت الباب قليلاً لتكتشف ان جاك كان يتحدث على الهاتف. وقبل ان تغلق الباب ثانيه اقفل السماعه وصاح:

ـ من هناك؟ ادخل.. غاى؟ كم مضى عليك وانت واقفه هنا يا بطتى؟

ـ ليس لوقت طويل.. صباح الخير جاك. لقد اتيت لأرى إذا كنت حقيقياً أم اننى كنت احلم.

رجل اشيب الشعر كان يجلس فى الكرسي الدوار خلف الطاوله الكبيره، وقف لدى دخول غاى فقال جاك:

ـ اقدم لك شريكى بيل ديسموند.. هذه جاى برنت.

ـ سعيد للقائك آنسه برنت، وان اجد ان جاك لم يكن يبالغ.

فضحكت واحمر وجهها قليلاً.

ـ لا تعرف شيئاً عنى بعد ربما اكون من النوع الذى يرمينى النظاره بالقروش.

ـ أنسه برنت ، لدى خبره عشرين سنه فى النظاره الأمريكيين والبريطانيين، ولست بحاجة لأن اخاف حدوث هذا.

ـ لقد درست العقد جيداً. ولكن اتظن اننى استاهل الأجر الذى عرضته على؟

ـ إذا لم تستحقيه يا حبيبتى.. سنخفضه. اليس كذلك يا بيل؟

وهكذا وقعت العقد...

انتاج عرض موسيقى ضخم يستغرق عاده شهراً على الأقل من التمارين المرهقه، ولكن التحضيرات «للنجوم فى عينيها» كانت محدوده بثلاث اسابيع فقط، وعمل الجميع، من الكورس الى الممثلين الأول، وكأنهم العبيد.

بعد ان وقعت عقدها، ارسلت الى شيلى تخبره ما حدث، وأعطته عنوانها فى المسرح. ومضت عشره ايام ولم تتلق الرد، ثم وصلتها رساله لاحظت مصدومه انها تحمل طوابع البريد الجوى من اميركا، وفتحتها بسرعه لتجد فيها:

«حبيبتى:

لم احاول رؤيتك قبل مغادرتى انكلترا لأننى جبان.. فوداعك اصبح عاده لن تغادرنى ابداً. اتوقع ان ابقى بعيداً

لأسابيع طويله وربما لأشهر. انا سعيد لسماعي اخبار عودتك الى المسرح.. يوماً ما سوف تصطلح الأمور، ولا تفكري كثيراً في طفلك فإن سيمور اكد لي انه سيرعاه. وتذكري: اذا كان قرارك الحالي بالعمل نهائي، او انه اتى يوم اعطيتني فيه الضوء الأخضر لأقاتل من اجل حريتي واترك العنان لسانثيا ان تفعل ما تريد، فسأبقى بالكامل..... المخلص لك، شيلي».

ولم تكن بحاجه لقراءه الرساله ثانيه، فقد بدا واضحاً فيها انه غير سعيد، وليس له امل كبير في المستقبل. ربما عودتها الى المسرح امل النجاح الكبير، قد اقفل الباب بينهما بقوه.

وارسلت تبلغ الكولنيل سيمور، ان عرضاً للمسرحيه سيجري في مدينه «براثيون» القريبه من قصر هارتنغاتون. وان عليه ان يوافيها الى هناك مع ولدها، يوم الأحد الذي يلي القادم.

وذلك العرض في «بارثيون» كان ناجحاً منقطع النظير لها.. وعندما انتهى العرض، سارعت الى الموعد الذي حددته في رسالتها لترى ابنها.

ووجدت الصبي الصغير متورد الوجه قوي الصحه، ولم يتغير كثيراً.. وجن من السرور لرؤيتها، ولكنه كان يخجل من

اظهار عاطفته بوجود الكولنيل سيمور ومربيته بروس والطفل، حتى كان جيري قد احس بالتعب الجسدى حتى انه نسى ان يحزن لوداع امه.. ووضعته غاى بنفسها فى الفراش... وقبل ان تغطيه كان يغط فى نوم عميق.

وبعـودتهـا الى لندن غـرقت حـتى الأذنين فى طاحـونه التمـارين، والعرض الذى جرى فى منشستر كان ممثلاً فى النجـاح لحفله براثيـون. واحست غـاى بالراحـه لأنه تعـرف بأنها، وحتى الآن، كانت ناجحه.

ولكن غاى اكتشفت ان الجوله التى استغرقت فى الأقليم اسبوعين لم تكن شيئاً عندمـا سمـعت موظف المسـرح يعلن «العرض يبدأ بعد نصف ساعه، من فضلكم» وعرفت انه حتى ذلك الوقت سوف تفتح الستاره لأول ليله عرض للمسرحيه فى لندن. ولم تجرؤ على ان تؤمن إيماناً قاطعاً ان النجاح الذى احرزته سيتكرر هنا. ولكنها واثقه فى انها تكون فى أبهى حالاتها، وان عليها ان تنجح، فالنظاره هنا هم من الذواقه فى عالم الفن.

ودخلت مساعدتها للملابس الغرفه تحمل كومه برقيات لها، ولم يكن امامها الوقت الكافى لفتحها، ولاحظت على احداها

عباره: «مستعجل جداً» ففتحتها بسرعه وقلبها يخفق بجنون:

«يا قلبى..

ارسل لك هذا مع كل حبى لأقول لك «حظاً سعيداً». ليتنى كنت معك. لأقولها لك، ولكننى لا استطيع، لذا سأترك الورود تقولها.

المفكر بك دوماً... شيلى»

ولم تكن الورود مشتراه من لندن. فقد وصلت مع البرقيه من نيويورك بالطائره، واوصلها مراسل خاص.. واحست بان العالم صغير.. وان الأميال التى تفصلها عن شيلى، مجرد وهم.

كيف مرت دقائق اول اغنيه لها على المسرح؟. ولن تعرف ابداً. ثم، وبتوقف آخر نغمات الموسيقى، دوى فى سمعها انفجار من الهتاف والتصفيق.. وعرفت، وبلغه اهل المسرح، انها قد استولت على الجمهور...

وهذا ما حدث فعلاً، واستمر كما هو حتى نهايه المسرحية الموسيقيه.. ونهاية السهره.

ولكن، لا استحسان زملائها الممثلين، ولا اسراع جاك الى غرفتها لتقبيلها فرحاً، سجل شيئاً فى نفسها قبل انسدال الستاره النهائى. ثم إرتفاعها مجدداً عشرات المرات، وبقائها

مرفوعه الى ان خرج جاك ليلقى كلمه قصيره والدموع تغمر من عينية.

وبكلمات رائعه، قص على الجمهور حكايه مسرحيه «النجوم فى عينها» وكم هو سعيد بشكل خاص لأن غاى لعبت الدور الرئيسى فيها، لأن كل نغمه وكل سطر كتب فى المسرحيه كانت هى مسيره الأفكار فيه. ولكن الجمهور لم يرضى بذلك فقط، فقد دخلت نجمه جديده الى قلوبهم ولن يخرجو من المسرح حتى تتحدث اليهم:

– غاى برنت.. غاى برنت.. خطاب.. خطاب... خطاب!

ودفعتها ابدى زملائها الى المسرح مجدداً.. فوقفت هناك جامده وقد مدت زراعاها الى الأمام:

– لا استطيع... ارجوكم... قلبى ملئ بالفرح، واشكركم من اعماقه و...

واستدارت لتمسك بيد جاك.

– واشكر المنتج والمؤلف لتحقيقه هذه الأمسيه، باركهم الله... وعمتم مساء.

وشقت طريقها بصعوبه من الكواليس لتدخل الى غرفتها

وشقت طريقها بصعوبه من الكواليس لتدخل الى غرفتها لتغيير ملابسها.. وبعد لحظات سمعت دقاً على البلاب فقالت لمساعدتها:

– ارجوك سيده هيل تخلصي من الطارق، فانا مشغوله جداً.

وعادت السيده هيل اليها بعد قليل

– هناك مرأه مسنه تريد رؤيتك.. اللايدى.. لم اعد اذكر.

وقبل ان تستطيع غاى التخمين.. فتح باب الغرفه وسمعت صوتاً انوثياً اجش يقول:

– ارجوا ان لا تكونى قد نسيتيني يا طفلتي.. انا كلاريسا وثنغ هام...

– اوه..! لايدى وثنغ هام. ارجوك ادخلى واجلسى اعتقد انني مضطربه قليلاً. وساكون على ما يرام بع لحظات.

– لم يجب على التطفل هكذا، كما اعتقد. ولكننا كنا في المقاعد الأماميه، وشعرت برغبه جامحه لان اراك واهنئك. فانا لن اشاهد استعراضاً موسيقياً رائعاً كهذا منذ سنوات طويله. ولم اكن اعرف انك موهوبة هكذا ياطفلتي. رائعه.

– اشكرك كثيراً.. وانا سعيده لأنني اعجبتك. ولطف منك

ان تأتي.

ـ لا. بالمره. لطالما تشوقت لرؤيه كواليس المسرح. هل انتهيت من تبديل ملابسك؟ اريد ان تلتقي بزوجي هيوغ وانت خارجة.

وصمتت بعد ان صاح جاك من خارج الغرفه:

هل انت جاهزه يا غاي؟

ـ تقريباً.. ادخل.. اوه جاك، هذ اللايدى وثنغ هام اوه.. انا اسفه، لقد قدمتكما بطريقه خاطئه! لايدى هل لى ان اقدم لك السيد هاسلي.. لايدى وثينغ هام... اللايدى كانت عرابه سيمون.

ـ اوه.. ظننت انها حماتك قد جائت لزيارتك.

وبدون توقع، كما هي عادتها، ضحكت اللايدى وثينغ هام عالياً.

ـ لقد اتيت لأحاول سرقه هذه الشابه الجميله لنتعشى معاً. ولكن للأسف وجدتها مشغوله معك... الإستعراض جيد جداً سيد هاسلي، وانا اهنئك.

عدائيه جاك حيالها لظنه انها السيده هارتنغتون، كانت قد تلاشت فسارع للقول:

ـ لماذا لا تشاركينا العشاء؟

ـ اوه شكراً، ولكن زوجي ينتظرني.

ـ فليأتي معنا ايضاً. نحن ذاهبان الى «السافواي» وهناك امكنه كثيره، واذا لم يوجد، سوف يجدون لنا امكنه، وبكل احترام!

ـ لن اهتم ابداً بالإحترام طالما انا معكم.

وبعد انتهاء السهره والجميع يتودعون، قالت اللايدي:

ـ تعلى لزيارتي يوم الجمعه بعد الظهر يا طفلتي.. فنحن نقيم في فندق «غراي» في شارع «دوفر».. اتسطتيعين؟

ـ أجل.. سأحب هذا كثيراً شكراً لك.

ـ عظيم.. الربعه بعد الظهر إذاً.

وهمايركبان السياره ويبتعدان تمتم زوجها الجنرال هيوغ:

ـ اضروري ان تطلبي من الفتاه زيارتك يا كلارسيا؟ انه فتاة جيدة، وكل شيء

ولكن الإنحياز الى جهه في خلاف عائلي امر غير جيد. وماذا! هيلين هي صديقه قديمه لك، ولن يعجبها الأمر.

ـ تستطيع هيلين ان تذهب الى الجحيم.

الحادثة

ما من شك واقع ان استعراض «النجوم فى عيناها» كان بالنسبه لعالم الستاره المسرحية «ضربه ساحقه» وقد اجمع النقاد انه افضل استعرض موسيقى منذ اندلاع الحرب. وكانت التذاكر قد بيعت جميعاً ولأشهر سلفاً.

ولو ان غاى كانت تأمل فى ان تحصل على القليل من الوقت لنفسها بعد بدايه الإستعراض فى لندن، فقد اكتشفت ان املها كان متفائلا جداً. فعدا عن تقديم ثمانيه عروض فى الأسبوع، وجدت امامها فجأه عشرات الأشياء لتشغل اوقات فراغها. ولم تكن لتعتقد ان النجمه المسرحية يمكن ان تعمل بجهد خارج المسرح، واكثر احياناً، من ما تعمل وهى فوقه.

جرى تصويرها... اجراء لقائات معها.. ابقاء وجهها

ويديها وشعرها بلباقه دائمه، واخذ الكثير من وقتها، ثم كان قرارها بأخذ دروس فى الغناء وفن الخطابه. فلكونها نجمه وليده حديثاً، فقد كانت تعرف حدودها، ولا تريد ان تبالغ. صوتها حلو وحقيقي، ولكنه بحاجة إلي تقوية بينما طبقات صوتها في الكلام كانت خافتة، وليست معتاده على الإستمرار فى الكلام لمده طويله كل ليله.

ولن تكن غاى من البشر لو لم تحس بالغيره لتعلق ولدها جيرى بجدته، ولو لم يبلغ عدم حبها لحماتها فى بعض الأحيان الى الكراهيه. وكذلك، فلن تكون من البشر، لو انها، وفى ساعات الليل الطويله، لم تذكر نفسها بأن شيلي يحتاج اليها، وبيأس.. او لم تسأل نفسها ما إذا كانت مجنونه لإفساد حياتهما هكذا؟ وما عليها ان تبعث لشيلى بكلمه واحده، ولن تكون وحيده بعد ذلك.

واقبل الصيف، وكان انكليزياً مثالياً، مع الكثير من المطر والكثير من السماء الرماديه.. ولم يعد جاك يظهر على المسرح كثيراً الآن، وكان يعيش خارج لندن مشغول بمسرحيه جديده. ولكنه كان يحضر اليها مرتين فى الأسبوع.. وذلك اليوم كان ينتظرها على باب المسرح.

ـ هاى يا امرأه.. لقد تأخرت.

ـ آسفه.. سكنى بعيد وعلى ان اسير مسافة طويله من المحطه الى هنا.

ـ وما رأيك بمن وجد لك مكان آخر للسكن؟

ـ رائع يا جاك.. يمكننى ان اقبلك لهذا.

ـ ليس هنا علناً يا بطتى.

وتناولا الغداء معاً، وبعد الظهر ذهبا ليلقيا نظره على الشقه. ستؤجر مفروشه تقريباً. وعلى الرغم من اجر غاى المرتفع، إلا انها ليست مليونيره، ولكنها مناسبه تماماً. وبإمكانها ترتيب الشقة كما تريد، إذا قررت ان تستأجرها.. وحصلت على العقد فوراً لأن المالك ذاهب الى افريقيا بعد اسبوع.

واصبحت الأن وجهاً لوجه مع حقيقه ان الأيام قد مرت دون اى اتصال من شيلي، وان ما كان يحجب هذه الحقيقه عنها هو وجود جاك. ولذهاب جاك فى عمل ضرورى، اصبحت الآن لوحدها، ولم يعد هناك سوى الأفكار الحزينه امامها.

لماذا لا اواجه الحقيقه؟ لقد نسيني شيلي. ولكن ماذا لو انه مريض.. لو ان شيئا ما حدث له. ولكنها واثقه ان الكولنيل سيمور لابد ان يعرف. ولم يكن هذا الأسبوع دورها لترى جيري، ولا حتى الأسبوع المقبل، فقد ذهب الآن لقضاء الصيف قرب البحر. وهذه المره مع جدته...

لو انها تستطيع ان تحصل عليه ليعيش معها هنا. فقد اصبح لديها الآن شقه خاصه، ولكانا امضيا ايام رائعه معاً... ولكنها مع ذلك تمضى ايامها وحيده.

ليله السبت توسلت اليها صديقتها بيلا غرانتان تحضر حفله عشا ء معها في «السافواي»ثم في ملهي ليلى بعد ذلك. ولم تعتقد غاي، ان الامر سيكون في وسط حفله بهيجه صاخبه. كان هناك ثلاثة فتيات و اربعةشبان. و كان رفيقها ضابط طيران شاب قدمته لها زميلتها باسم، آلن دارت، و هو لا يعرف اين هي حدوده ليتوقف عندها.

و كانت تنوي الاعتذار بعد العشاء، و لكنها احست بأنها سوف تفسد عليهم احتفالهم اذا لم تذهب الي النادي الليلي معهم. وهناك اعلنت انها لن تشرب شيئاً سوى المياه الغازيه.. وانحنى الن دارت نحوها ولمس ذراعها:

ـ هل لنا ان نرقص؟

وكان الأخرون قد سبقوهما الى الحلبه. ووقفت غاى لتذهب معه على مضض، ووضع الشاب ذراعه حول خصرها وجذبها الى منتصف الحلبه بين الراقصين.. واستسلمت للموسيقى والرقص، ونسيت تماماً مع من ترقص...

وهزت رأسها.. الفرقه كانت تعزف آخر مقطع من الفالس، وما ان بدات النغمات تتلاشى، حتى احنى رفيقها رأسه وقبلها على خدها.. واجفلت.. ولكن فى لحظه تخلصت من بين يديه، واستدارت لتذهب... لتجد نفسها تنظر مباشره الى عينى.. شيلي لانديز...

ـ شيلي.!

وركضت نحوه وتمد يدها، فوقف على الفور واستقبل يدها ببرود دون ابتسام.. وقبل ان ينطقا باى كلمه صاح احدهم من الممر العلوى للنادى:

ـ غاره بوليس! انهم قادمون...

وكان الن دارت قد أنضم للأخرين، تاركاً غاى مع شيلى، فأطبقت يده على يديها.

- تعالى من هنا.

وجذبها خلفه صاعداً السلم، ولم يكاد يصعد اول درجات السلم حتى اطفئت الأضواء فى النادى.

- اعطينى يدك.. لا بأس احدهم قطع الكهرباء...

واصبحا فى الطابق العلوى، وكان مهجوراً. واحست فجأه بلفحه هواء فوق وجهها، ووجدت السماء المليئه بالنجوم فوق رأسها.. وتحرك بها فوق السطح الى ان وصلا الى سلم النجاه الحديدى، وبدأ ينزل وهى تتبعه. وادركت، بتنهيده ارتياح، انها قد اصبحت فى الشارع.

- شيلى.. لا استطيع التصديق.. هل انا احلم؟

- سوف نبحث هذا فيما بعد، ولنفتش الآن عن تاكسى. أرجو ان لا تكونى قد تركت ما ينم عن شخصيتك وراءك.

- لا اظن.. ولكن هل هذا مهم؟ هل تحدث دائماً مداهمات لحفلات النوادى التى يقدم فيها الشراب؟

- هذا يتوقف على نوع النادى. فهل تحبين الدعايا كثيراً؟

واحست غاى انها تمر فى كابوس، فمنذ لحظات كانت

ترقص مع شاب مرح فى نادى «الأوركاديا» وها هى الآن فى وسط شارع (ماى فير) يجرها شيلى الغاضب الذى كانت تعتقد انه بعيداً عنهااميال عديده. وقالت له:

ـ لو سرنا بضع دقائق لوصلنا الى شقتى.

ـ لنسير اذاً.

ـ لماذا لم تخبرنى بانك قادم؟ لماذا لم تكتب لى؟

ووصلا الى المبنى حيث تسكن. ووقفت لتبحث عن المفتاح وهى تشكر الله بانها ابقت حقيبه السهره معلقه فى كتفها اثناء الرقص. واخذ المفتاح منها وفتح الباب الخارجى ودخلا. وصعدا السلم الى الطابق الثانى حيث شقتها. واخذت المفتاح منه وفتحت الباب ثم قالت:

ـ ادخل الى هنا... لقد اتسخت من سيرى فوق السطح وسلم النجاه. سوف اغتسل وابدل ملابسى.. واذا اردت تنظيف نفسك فالحمام هناك فى نهايه هذا الممر.

وعادت اليه لتجده واقفاً فى منتصف غرفه الجلوس ينظر ساهماً الى المدفأه الكهربائيه. واستدار لينظر اليها.. وللحظه بدا ان هناك هوه مؤله من سوء التفاهم بينهما، وفى اللحظه

التاليه كانت بين ذراعيه.. وقالت وشفتيها تقرب شفتيه:

ـ حبيبى، حبيبى.. احبك.. احبك.. انت قلب كيانى...

فامسكها بكتفيها وابعدها عنه:

ـ من كان ذلك الشاب الذى قبلك؟ وماذا كنت تفعلين منذ غيابى؟

ـ كنت اشتاق اليك، واحبك اكثر. لقد كان شاباً لا يعرف كيف يتوقف عند حده.

ولكن الغيره كانت تنهش شيلى، ولن يصمت بسهوله.

ـ كنت سأهشم وجهه.. كم مره خرجت معه؟

ـ ابداً.. التقينا الليله فقط.. اوه يا حبيبى! اتظن...؟

ـ اظن انه من النوع المتسرع اللعين. على كل منذ متى وانت ترتادين اماكن مثل نادى «الأوركاديا»؟

وشرحت له كيف دعتها صديقتها الى حفله عيد ميلادها. وتابعت:

ـ من الواضح فى الن دارت يعرف المكان جيداً.. ولكنى كنت اشك ان هناك شيئاً ما يثير الشبهات حول المكان لحظه ان دخلنا.

ـ ما اعرفه، ان البوليس لم يكن يداهمه من اجل المشروب فقط وشكراً لله اننى لحقت بك...

ـ لحقت بى؟

ـ لم تكن صدفه عجائبيه، لقد وصلت الليله، وذهبت لألقاك فى المسـرح، وعندمـا لـم اجـدك قـالو لى انك ذهبت الى حـفله «السافواى» واسرعت الى هناك لأجدك تركبين السياره، وقال لى البواب، الذى يعرفنى، انه سمع احدهم يقول للتاكسى ان يذهب بهم الى «الأوركـاديا» ولحـقت بك، ورشـوت البـواب ليدخلنى... هذا كل شىء. واظن اننى وصلت فى الوقت المناسب.

وجذبها اليه:

ـ انت اجمل مما كنت عليه.

ووضعت يديها على كتفيه وسألته:

ولكن لماذا لم تكتب لى؟ ظننت انك نسـيتنى.. او قررت ان تبتعد عني.

ـ لقد كتبت عدة مرات و لم تردى.

ـ لم احصل سوى على رساله الورود ليله إفتتاح الإستعراض.

وجلسا، يداً بيد، ليخبرها انه سافر لرؤيه اهله، والده، كما تعرف، متوفين. ولكن لديه شقيقه يحبها كثيراً متزوجه من رجل شهير فى عالم المصارف، واخ اصغر منه فى الجيش الأمريكى. انهم عائله عريقه، فخورون باسمهم، والأعضاء الأخرون من العائله محافظون بطريقه لم يتصرف بها شيلي من قبل، ثم قال لها:

– يجب ان تقابلى شقيقتى.

– وهل اخبرتها عنا؟

ليس بعد.

– و... ماذا عن سانثيا؟

– دعينا لا نتكلم عنها الليله. اسمعى غداً سنخرج معاً لنتغدى فى مكان جميل بعيد عن الأنظار.. وسوف اعيدك قبل وقت طويل من موعد المسرح.

– سيكون هذا رائعاً. اوه يا حبيبى، لا اصدق انك معى هنا.

وتحدثا.. وتحدثا. ولكنهم لم يلمسوا الأماكن الأساسيه... والى اين سيصل هذا بهما؟ لقد عاد شيلي، ولا امل فى تغيير

حياتهما الا اذا سانثيا تغيرت.. وبالتأكيد لن تتغير.

وتملكها احساس بالواقعيه.. فسألت نفسها: الى متى نستطيع الإستمرار هكذا؟ قبل ان نصل الى الطريق المسدود الذى وصلنا اليه المره الماضيه؟ وعنها اما ان يهرب ثانيه.. او...

واحست بإعياء شديد ولم تستطيع مواجهة هذا الواقع... وعقلت واقع آخر هو ان شيلى قد عاد الى حياتها...

واخذها فى اليوم التالى للغذاء من مطعم يشرف على النهر. واخبرها شيلى المزيد عن زيارته لأميركا. واخبرته كل شىء عن المسرح..

وسألها:

ـ هل كنت تفضلين البقاء فى القصر على هذا الضجيج فى المسرح؟

ـ اوه.. لا.. لا.. ولكن.

ـ هذا يعيدنا الى المشكله القديمه، حبيبتى اكره ان أؤلمك، ولكنَ عليك مواجهة الواقع.. فالصبى سعيد تماماً.

ـ كيف تعرف؟

– حسناً.. اليس سعيداً؟

– اجل ولكن.. لنفترض انه غير سعيد.. لنفترض انه بحاجة لى...

– انظرى يا حبيبتى، كما تقولين الأشياء لا يمكن ان تتغير فأنا وانت لم نتغير.. ومشاكلنا لا زالت هى هى. وكذلك واقع ما اذا كنت مستعدة للمخاطر بعدم رؤيه جيرى الى ان يصبح شاباً، او ما اذا كنت ستكونى الضحية.

وسألته بعد لحظه:

– وسانثيا..؟

– لقد كتبت لى رساله عبر محاميها تقول انها قد ادركت غلطتها وانها مستعده لمعاشرتى كزوجه كامله... يا الهى كم هى ذكيه! انها تقفل الطريق فى وجهى من كل الجهات. ولن استطيع المطالبه بفسخ الزواج طالما تبدى استعدادها للعيش معى. والوضع الآن كالجحيم. ولن يكن على ترك الأمور تصل الى هذا الحائط المسدود، فهى لا تريدنى، ولكنها لا تريدك ان تحصلى على.

– انها تكرهنى. ولست ادرى لماذا؟

ـ لأنك كل شيء هي ليست عليه... ولأنك تزوجت سيمون.

ـ ماذا تعني؟

واخبرها كل شيء عن حب سانثيا لسيمون:

ـ سانثيا كانت تحب سيمون؟ هذا عجيب!

ـ لقد اخذت سيمون منها، وانت الآن تأخذينني منها. لذا يجب مواجهة الأمر. لا اقدر ان أطلقها.. وليس هناك قضيه هجر بيننا، لاننا تفارقنا بالإتفاق. ولن يقنعني شيء بالعوده للسكن معها. فماذا نفعل؟ هناك طريق واحد، بامكاني الحصول على طلاق اميركي، ولكننا متزوجان في انكلترا، بالقانون لإنكليزي. ونستطيع الزواج في اميركا، ولكن اذا عدنا الى هنا، فستبقى سانثيا زوجتي.

وعلى هذا يتوجب ترك المشكله كما في الوقت الراهن. وذهب شيلي الى الريف في اليوم التالي، قائلاً انه سيعود بعد بضع ايام.

وما ان وصل الى هناك حتى زارته اللايدي وثنغ هام في نفس اليوم. وقالت له:

ـ سعيده برجوعك.. اعتقد لو اننى امريكيه لبقيت فى ارض الله الواسعه.

ـ إنكلترا.. على الرغم من مساوئها ما زلت احبها.

ـ هل علمت اننى تشاجرت مع هيلين؟

ـ هيلين لا تعطينى اسرارها.

ـ حسناً.. لقد قلت لها رأيى فيها، وقلت لها انها تعامل ارمله سيمون وكأنها الساقطه.. واننى اعتقد ان بقاؤها مع عائله هارتنغتون هو الذى يشجعها على السقوط!

لقد قالت لى غاى انك زرتيها. هذا رائع منك.

ـ انا احبها، كما احببت سيمون.. لقد كان دوماً يخاف من امه... وترك لتلك الفتاه المشاكل وهى الآن لا تستطيع الحصول على طفلها. وليس من العدل ان تغامر فتاه شابه فى الحياه لوحدها، فماذا ستفعلان حول الأمر؟

ـ وماذا نستطيع ان نفعل؟

ـ عد الى اميركا.. تخلص من سانثيا وتزوج من غاى.

ـ لقد فكرنا فى هذا..

ـ اوه.. جيد جيداً! تستطيعان الإعتماد على، فيما تقرران فعله.. مع اننى لا استطيع فعل الكثير لكما.. فقد خاطرت حتى فى المجىء لمنزلك.

ـ وهل سمعتى سيئه هنا الى هذه الدرجه؟

ـ يا لك من خبيث.. لم اقصد هذا! اعنى ان التطفل على شؤون الأخرين الخاصه ليس بالأمر الجيد... ولكننى امرأه عاطفيه، واكره رؤيه القصص الغراميه تسوء. فإنا نفسى هربت من هيوغ لنتزوج.

ووقفت لتصافحه مودعه:

ـ إبدأ القتال يا رجل.. غاى تستحق.

ـ «إبدأ القتال»... ولكن الأمر ليس بهذه السهوله.

استيقظت غاى فى اليوم التالى لعوده شيلى الى لندن على رنين الهاتف، وسمعت صوته عبر السماعه:

ـ هل ايقظتك؟

ـ اجل.. وهذا امر جيد.. فلدى موعد مع المصور الساعه العاشره.

ـ الم نتفق على لقاء اليوم؟

ـ لا..

ـ إذاً اسمعى.. على العوده الى الريف ثانيه..

ـ لماذا؟ هل هناك من خطب؟

ـ لا.. ولكن شقيقتى وصلت الى ايرلندا وتمكث عندى فى نهايه الأسبوع. وكدت ان انسى هذا. سوف تعود قريباً الى اميركا، ولم اراها كثيراً هنا.

كانت واثقه ان هناك شيء ما. انه لا يذهب هكذا على حين غره، حتى دون ان يودعها.. فسألته:

ـ هل انت مسافر حالاً؟

ـ فى الحال يا حلوتى لو كان بيدى لما ذهبت، ولكننى لا استطيع تخييب امل سيسيل.

ولكن اليوم هو الأثنين.. وشقيقته لم تصل قبل نهايه الأسبوع. وبجهد كبير امتنعت عن تذكيره بهذا. وسألته:

ـ ومتى ستعود؟

ـ سأعرف متى تصل سيسيل.

ـ شيلى.. هل انت غاضب منى؟ هل فعلت لك شيئاً؟

ـ لا شىء ابداً.. يا حبيبتى.. ولكن هناك اوقات على المرء ان يذهب هكذا.. وسأعود.. قريباً.

ـ حسناً.. اعتنى بنفسك.. ارجوك.

ـ سأفعل.. وداعاً.

وصمت الخط. ولم تكن لتعرف مدى عمق وحدتها الا عندما تكون دون شيلى ليملأ جزءاً من يومها.

والإستعراض الغنائى مستمر بنجاح، ومقدر له الإستمرار لمده طويله. وكل شىء اصبح روتيناً يومياً. وبالفراغ الذى اصبح امامها احست انها مشتاقه لجاك، واحست بالذنب لأنها لم تفكر به لأكثر من شهر. وتمنت من انه يعود من عزلته فى الريف ليتفرغ للكتابه. فهو الشخص الوحيد التى تحمل رؤيته كثيراً الآن.

وفجأه رن جرس الباب الخارجى، فوقفت مذعوره وكإنها سمعت صوت الرصاص. ونظرت الى الساعة علمت انها تقارب الحاديه عشر ليلاً. وسمعت صوتاً عبر الباب:

ـ هذا انا يا بطتي. ولست لصاً.

ـ اوه .. جاك!

وفتحت الباب

ـ اين اختفيت كل هذه المده؟

ـ كنت اعـمـل واؤلف وارتاح... وهـل ارغب فى فنجـان قهوه؟ اجل ارجوك.

وضحكت:

ـ كم هذا جـمـيل! اشكر الله لقـدمك.. كنت على وشك بالذهاب الى النوم.. اذهب الى الداخل وساكون معك فى لحظات.

ولكنه تبعها الى المطبخ وسألها:

ـ ما بك؟ هل انت مشتاقه لشيء ما؟

ـ لا.. ولكننى اشعر بالوحده.

ـ يا حلوتي.. الممثلات الناجحات لا يحبسن أنفسهن هكذا.. اخرجي! لماذ لا تذهبين الى اماكن للسهر؟

ـ انت تعلم يا جاك اننى لم احب ابداً السهر فى الأماكن العامه.

ـ ومـاذا عن الشـاب الذى يدور حـولك والذى سـمـعت

الأقاويل عنه؟

ـ أنت أينما تذهب تأخذ معك السيدة أقاويل؟

فضحك، وحملت صينية القهوة إلى غرفة الجلوس، وتشاركا فى صحن من السندويتشات، وقالت له غاي:

ـ والآن أخبرنى ماذا حدث معك؟ لقد أشتقت لك، وأنت لا تتصل حتى بفتاتك؟

ـ قلت لك أننى كنت أعمل. وماذا بعد... لقد أنهيت كتابة الرواية الجديدة أخيراً. لقد أتعبتنى كثيراً، ولكن سوف يثبت نجاحها الآن.

ـ هل أنهيتها.. هذا عظيم.. أخبرنى كل شئ عنها.

وأخبرها بالتفصيل. وهى تصغى، أحست ببعض من حزنها يتلاشى، من الصعب عدم الأنجراف مع حرارة حماستها. وسألها:

ـ وماذا عنك يا غاي.؟ هل لا يزال الأستعراض ناجحاً؟

ـ لن تجد مقعداً ولو لبعد ستة أشهر.

ـ حسناً.. لا تدعى ذلك أيها الأمريكى الوسيم يخطفك.

ـ لا تقلق يا جاك. لن يكون لديك فرصة للتخلص منى.

ـ جيد.. تبدين تعبة يا فتاتى..

ـ ربما كنت تعبة قليلاً.. كنت مشغولة جداً مؤخراً، ولكن عما قريب سأكون على ما يرام.

ـ حان وقت نومك يا حبى.. هل أنت ذاهبة لرؤية أبنك هذا الأسبوع.

ـ لم يحن دورى بعد.. أضف إلى ذلك أن الكولنيل سيمور مسافر.

ـ هذا رجل رائع.. لا أستطيع فهم لماذا لم يتزوج.. خذى قرصاً منوماً لا يؤذى واذهبى إلى النوم.. سوف أستعير أو أسرق سيارة لنذهب معاً إلى «براثيون» نهاية الأسبوع وهذا سيعطى تلك العجوز الكذا والكذا «حماتك» شيئاً تتقول فيه.
فضحكت غاي:

ـ سيكون رائعاً أن أخسر سمعتى لأجلك يا جاك. هل لك بفنجان قهوة آخر قبل أن تخرج؟

ـ لا بأس.. كى أكون صاحياً على الطريق.

وكانت في منتصف طريقها للعودة من المطبخ ومعها القهوة الطازجة عندما سمعت رنين جرس الباب.

- يبدو أنك مطلوبة كثيراً هذه الليلة.. هل أجيب أنا؟

- لا.. لقد وصلت.

ووضعت إبريق القهوة وأسرعت إلى الباب، تتسائل من هو هذا الزائر في هذا الوقت المتأخر. وفتحت الباب. وتلاشى اللون من على وجهها، ثم عاد بسرعة.

- شيلي..! يا عزيزي.. لم أكن لأحلم إنك عدت. وكاد يأخذها بين ذراعيه، ولكنه لاحظ باب غرفة الجلوس مفتوحاً، فقالت له مقطوعة الأنفاس:

- تعال إلى هنا. لقد كنت.. كنا نشرب القهوة.

وهي تقود الطريق كانت تحس بنوع من الخجل والإحراج.. فهذه أول مرة يلتقي فيها شيلي وجاك.. وأرادت منهما أن يحبا بعضهما.. وخافت من إنهما لن يتفقا.

ووقف جاك بعد أن عرف أن القادم شخص غريب عنه بالكامل فقالت غاي:

– جاك.. هذا المايجور لانديز.. صديق عظيم لى.. شيلي طالما أردتك أن تلتقى بجاك هالسي. لقد سمعت الكثير عنه وأنت تعلم أننا كنا أصدقاء منذ زمن بعيد.. ويجب أن تكونا صديقين.

وقال شيلي:

مسرور لرؤيتك.

ولكن وهو يصافح جاك لم يكن هناك مصداقية فى بشاشته له. وكذلك فكر جاك.. أهلاً.. هذا هو الأمريكى الذى سمعت عنه! وقال:

– لقد كنت أشرب وغاي القهوة وكنا نتحدث بالأقاويل لساعات.

– ستنضم إلينا يا شيلي فى شرب القهوة، جاك عزيزى أحضر إبريق القهوة لقد تركته فى الردهة.

بعد إنتهاء جاك من فنجان قهوته أعتذر وانصرف، وما أن أقفل الباب خلفه حتى وقف شيلى قرب المدفأه متجهماً، فقالت غاى:

ـ هل من خطب يا عزيزى؟

ـ لا شيء. كم انا غبى لأننى لم ادرك ان معك شخص آخر. هل السيد هاسلى معتاد على السهر متأخر عندك؟

ـ حبيبى فكر بنضوج. الم اوضح لك ان جاك هو اعز اصدقائى. إننا كالأخ والأخت تماماً.

ـ اعتقد اننى اتصرف بغباء.. لقد مررت من هنا وشاهدت نافذتك مضاءه، فأحببت ان اراك، ولم استطع الإنتظار حتى الغد.

ـ ايها المعتوه..! هذا ما كان يشغل بالك؟

ـ اسمعى يا حبى.. انا عائد لأميركا بعد ثلاثه ايام...

ـ انت.. مسافر؟ وقريباً.. ولكنك لم تعد الا منذ وقت قصير! هل يجب ان...

ـ اجل.. يجب ان اسافر، لقد قلت لى لتوك ان افكر بنضوج.. فانضجى انت يا غاى...

ـ ماذا تعنى؟

ـ واجهى المشكله برمتها، وادركى ان من المستحيل لنا ان

نســتــمــر هكذا طويلاً. احـبك، واريدك.. انت لى.. وبما ان القانون هنا يجعل هذا مستحيلاً فاتركينى اذهب لأحصل على حريتى، ولكن عدينى ان تنضمى الى لنمضى مـا تبـقى من عمرنا سوياً. هل ستحكمين على مدى الحياه بالوحده؟

– تعـال لتـأخذنى من مسـرح ليله غـد.. وسـوف.. اخبـرك عندها بقرارى.. اما الآن فارجوك ان تذهب.. يا حبى...

وبدت منهوكه لدرجه لعن نفسه فيها لانه فتح الأزمه هكذا على حين غره. فقال:

– إذا اعطيتنى الفرصه.. فسأمضى مـا تبقي من حياتى فى اسعادك..

ولشده توقه اليها، لم يفكر مطلقاً كم ان هذا الوعد فارغ. لإفتقاره الى شىء الوحيد الذى ستبقى دوماً تحن اليه.

وعاش الحب

لن تصعد المسرح، تضحك وترقص وتغنى، والقلب ممزق الى نصفين، امر غير سهل ابداً. ولم تدر غاى ابداً كيف استطاعت ان تمرر ليله الأثنين دون أن يظهر لرفاقها او جمهورها انها تعانى من شيء ما.

ولم تلم شيلى لفضله عليها ان تتخذ القرار لأخير، فهى تعلم كما هو يعلم ان زمن الحلول الوسط قد ولى... ولذا فهو سيبتعد الى النصف الآخر من العالم... ولقد قال لها «هذه المره ستكون الى الأبد» وعليها ان تقول له قرارها، اكانت مستعده لهذا ام لا.

وماذا ستقول له عندما يحضر ليحصل على الرد الذى وعدته به؟

واخيراً اسدلت الستاره عند نهايه الفصل الأخير واتيحت لها الفرصه ان تدخل غرفتها.. وعندما ستخرج سيكون شيلي منتظراً.. ثم... لكن ثم ماذا؟...

عندما دخلت الغرفه وجدت شخصاً يدير ظهره ويرفع ياقته الى تحت قبعته. اول خاطر لها انه شيلى.. هل حضر هكذا سريعاً.. ولكن الشخص استدار لتعرف فوراً انه ادوارد سيمور.

ـ نيد.. ماذا جاء بك...

وما ان لاحظت وجهه الحزين حتى جمدت من الصدمه..

ـ اريدك ان ترتدى ثيابك يا عزيزتى بسرعه، وتعودى معى فوراً الى القصر فى «سوسيكس».. غابريلا لديك الكثير من الشجاعه والعزم.. واريدك ان تستنفرى كل احتياجك منها لإنك ستحتاجين اليها فى الساعات القادمه.

ـ جيرى...

شفتاها رسمتا الأسم، ولكن حنجرتها بدت عاجزه عن اصدار الصوت ولا شىء فى حياه سيمور مر عليه بهذه القساوه..

ـ أخشى يا عزيزتى ان يكون جيرالد مريض جداً. لقد حدث له حادث بعد ظهر اليوم.. وامر الطبيب ان نرسل فى طلبك.. ارجوك اصغى الى.. انا لم آت دون امل. هناك امل... ولكن.. لك الحق ان تكونى معه...

وتهاوت مترنحه، فسارع لإسنادها:

ـ اصمدى يا عزيزتى...

وتلفظت بالكلمات وكأنها صادره من مكان بعيد.

ـ انا بخير... ثم، استوعبت كل ما قاله لها. وفى لحظه غسلت يديها ثم جلست امام المرآة لتنظف وجهها من الكريم، ولكن عملها هذا لم يؤد الى جعل وجهها يبدوا خليطاً من الألوان.. وتمتمت مخنوقه:

ـ قل لى ماذا حدث.. هل.. هل سيموت جيري؟

ـ اصلى،من كل قلبى ان لا يموت.. لقد فعلنا كل ما يمكن فعله. وعندما غادرت، كان هناك اخصائى يتجه اليه. سيارتى بالإنتظار.. لقد وصلت بها الى هنا فى اقل من ثلاث ساعات، ومع قليل من الحظ ستكون الطريق خاليه اكثر فى رحله العوده.. هيا لا اريد اضاعه ايه دقيقه...

سياره سيمور كانت متوقفه عند المنعطف خارج المسرح.
وما كاد يخرجان حتى توقف تاكسي وقفز منه شيلي ليدفع للسائق، ويلتفت اليهما، وما ان رأى غاى حتى تقدم منها. ولكنها تابعت طريقها دون ان تراه نحو سياره سيمور «الهيلامان»:

ـ غاى!

وكاد أن يلحق بها لولم يوقفه سيمور:

ـ غابريلا قادمة معى يا لانديز، الأمر خطير ولا مجال للشرح الآن، أرجوك لا تؤخرنا.

ولم يتبادر من ذهن شيلي أن غاي لم تره أبداً. كل ما عرفه.. إنه... هو.. شيلي لانديز.. قد أتى ليحصل على الرد منها.

وبدا له أنها قد أعطته الرفض هكذا. ماذا قال له سيمور؟ «وقدطلبت يد غاي يا لانديز. وإذا أستطعت سأظل ألاحقها لتقبل».

فهل تمكن من إقناعها أخيراً؟ هل قررت أن هذا هو الأفضل لها؟ كانت أعصابه ثائرة لدرجة أنه مستعد بأن يتقبل

أى تفسير على تصرف غاي الغريب.

لقد أختارت أسهل الطرق للخلاص.

اللعنة! هل كل النساء متشابهات؟

التـفكيـر بجـيـري أمـتص أى تفكيـر أخـر بذهـن غـاي. واستدارت إلى رفيقها وهما فى الطريق.

ـ والآن.. أخبرنى بالضبط ما حدث.

ـ لقد ذهبت صباحاً إلى البلدة «تشتشسر» وعندما عدت ظهـراً وجدت رسـالة مـسـتـعـجلة تطلب منى الحضـور إلى القصر. حيث وجدت هيلين لوحدها. وبدا لى أن جيري خرج لدرس ركوب الخيل...

ـ درس ركوب الخيل؟ نيد.. لقد وعدتنى...

ـ أعلم.. لقد ظننت إننى أقنعت هيلين بأن تؤخر تعليمه الركوب لسنه، ولكنها أصرت أن هذه رغبة جيرى. وأن لا أعلم شيئاً عن الأمر إلى أن يتعلم ويفاجئنى.

ـ لا أصدق هذا! إنها حيلة لتعلمه من وراء ظهرك..

ـ لا أظن هذا، فهى كانت مصممة على أن يتعلم. فتعلم

أولاً أن يطعم «البونى» وهكذا تغلب على خوفه منه.

– أنت تعنى أن السيدة هارتنغتون أجبرته.. فأنت تَعلم كم يكره أن يدعوه أحد بالجبان..

– يا عزيزتى.. هل من فائدة من قول هذا الآن.

– حسناً.. قل لى ما حدث.

– يبدو إنه كان يركب المهر علىّ الطريق ببطء، وكان جينكنز، السائس، يمسك زمام الحصان بقوة. وما ان وصلا قرب البوابه حتي مرت سياره علي الطريق دون انذار. فاجفل المهر وتراجع، فافلت الزمام من السائس واصتدمت السياره التى حاولت تجنبهم بالأشجار، وهرب مهر جيرى عبر البوابه متجه الى المنحدره قبالتها. وهو يقفز فوق الحافه رمى جيرى من فوقه.

واحست غاى وكانها شاهدت ما حدث، ولكنها قالت:

– تابع.

– كان غائباً عن الوعى عندما احضروه الى القصر. والدكتور فينيك يقول انه اصيب بارتجاج كبير فى الرأس.

ولكنه استعاد وعيه جزئياً عندما غادرت لآتى بك. وكان هناك اصابات اخرى ويخشى الطبيب ان يحتاج الى عمليه ولقد ارسلوا بطلب اشهر جراح فى انكلترا.. كونى شجاعه يا اعز الناس... اذا شاء الله فهذا الرجل سينقذه.

وردت عليه ببرود كبرود الثلج؛

ـ وقد يموت قبل ان اصل اليه.. طفلى!...

وارعبه هذا الهدوء البارد.. وهو الذى لم يعرف الخوف طيله حياته.

واحست غاى ان طوال ما ستعيشه من عمر سوف ترعبها هذه الأبواب والطريق التى خلفها.. وبدا لها انها تشاهد المهر وهو يجرى وابنها فوق ظهره، واستطاعت ان تحس بالرعب الذى كان يتملك قلب الطفل.

وما ان توقفت السياره حتى فتح الباب الخشبى الضخم، وبدا النور من خلفه، ونزل كلايتون درجات السلم الحجرى.

وكان سيمور يرغب لو انه دخل لوحده اولاً، ولكن قبل ان يستطيع منعها، رمت غاى نفسها خارج السياره، ولكنه لحق بها وامسك بزراعها بقوه. ثم دخل معاً يتبعهما الخادم الأشيب.

- ما اخبار السيد جيرالد يا كلايتون.

- الأطباء لا يزالون معه سيدى. اعتقد...

وصمت بعد ان فتح باب المكتبه، وخرجت السيده هارتنغتون. وللحظه حدقت غاى وحماتها ببعضهما وهما صامتان. ثم تحركت المرأه المسنه، وقالت:

- سعيده لرجوعك يا ادوارد.. لقد بدأت بالخوف.. ادخلى يا غابريلا..

- أريد الذهاب فوراً إلى غرفة جيري. يجب أن أذهب إليه..

وردت السيدة بصوت رقيق غريب:

- الدكتور فنيوك والسيد مايكل لازالا معه.. ولا يسمح سوى للمرضات بالدخول..

والتفتت غاي إليها بشراسة:

- قولى لى الآن إنك تحبيه! لقد أحببت جيري لأنك أستطعت أن تمتلكيه، كما أحببت أباه.. أحببت أباه لأنه لك.. وليس لأنه هو.. ولأنك أخضعتيه لإرادتك. إعلمى يا سيدة أن

الحب عطاء، وليس استحواذ. ولتعلمى أن الناس الذين تحبينهم يجب أن تكون لهم حياة خاصة بهم بعيداً عنك. ولكنك أنانية تماماً وبالمطلق. والآن، تصميمك على إجبار الناس أن يفعلوا ما تظنين أنه صحيح، قد قتل على الأرجح ولدى!

وبنفس الفجائية التى اشتعل بها غضبها، خمد فجأة أيضاً. فاستدارت وهى تشعر بالأعياء.

ولم تتفوه، السيدة هارتنغتون التى كانت تراقبها وهى تتكلم، بأى كلمة. وتوجه الكولنيل سيمور إلى الناحية الأخرى من الغرفة دون أن يتدخل. ثم عاد قرب المدفئة بعد أن أنتهى، ولكنه لم يستطع إيجاد كلمات يخفف فيها من توتر الصمت. وفتح الباب ودخل طبيب العائلة يتبعه رجل طويل أشيب الشعر.. وحدقت غاي فيه، ويدها على قلبها، ووقفت السيدة هارتنغتون وتقدمت نحوها ببطئ.

وقال السير مايكل تشارد، الذى كان أكبر أخصائى جراحى فى بريطانيا، بصوت ساحر:

ـ آه! سيدة هارتنغتون.. أنا سعيد جداً لأن أقول لك أن

العملية قد نجحت تماماً.. والشاب الصغير سيكون على أحسن حال. بعد قليل من العناية. وسوف يقفز ويركض ولكن ليس فى المستقبل القريب جداً.

ـ لا يمكن إلا أن نقول ممتنين لك كثيراً سير مايك.. هذه والدة جيرالد، زوجة السيد سيمون هارتنغتون.

ولكن، ما أن فتحت جاي فمها لتتكلم، حتى أظلمت الغرفة فى عينيها.. وأمسك الطبيب بها كى لا تقع.

وأفاقت غاى على ضوء الشمس الشاحب، وغرفة مألوفة، واليزابيت تضع صينية الشاى من يدها.. وممرضة تراقبها من أسفل السرير. وبصيحة خفيفة جلست:

ـ جيري..!

وتقدمت منها الممرضة:

ـ جيري نائم بهدوء.. وسوف ترينه لاحقاً.

ـ ولكن كيف..؟

ـ لقد حملناك إلى هنا، وأعطاك الدكتور فينويك حقنة منومة. فقد كانت الصدمة عليك شديدة....والآن استندى على

الوسائد وتناولى فطارك.

ـ أيتها الممرضة.. هل.. هل سيعيش؟ هل أنت واثقة؟

ـ بالطبع لقد فعل السير مايكل تشارد معجزه فى جراحته. ولكنه لن يخرج من الفراش قبل سته اشهر.

ـ شكراً لله.

وخرجت الممرضه، ولكن اليزابيت بقيت. ومنها علمت غاى ما تبقى مما حدث. واتبعت كلامها بالقول:

ـ لم يكن هذا ليحدث.. وليسامحنى الله على هذا القول: لو لم تأت السيده لانديز لتدخل من البوابات بسرعه.

ـ السيده لانديز؟ ما دخلها بهذا..؟

ـ الم يقولو لك؟ انها دائما تسوق بسرعه واستخفاف. والقريه كلها تعرف هذا! ولكن.. كما قلت، يسامحنى الله! لقد دفعت الثمن هذه المره... وشكراً لله هذه المره، السيد الصغير لا يزال حياً.

ـ ماذا تعنى؟ هل اصيبت السيده لانديز؟

ـ لقد ازاحت السياره بسرعه فذهبت بها رأساً نحو

اشـجـار السنديان حـيث تحطمت على الجذوع. وقـتلت على الفور!

ـ كم هذا مريع... كم هذا مريع!

لكل حـياتها فيمـا بعد، كانت شاكره ان هذه كـانت رده فعلها. فلم تشاهد غاى السيده هارتنغتون ابداً قبل ان تأتي المرضه لتأخذها عند جيرى. عندما شاهدها الصبى همس:

ـ مامى..

ـ حبيبى.. ماذا فعلت بنفسك؟

ـ لقد كسرت نفسى. ولكن لا تخافى.. انا رجل كبير الآن.

واشارت اليها المرضه هامسه:

ـ يجب ان ينام قدر المستطاع.

ـ مامى!

ـ اجل يا حبيبى؟ انا لم اعد اخاف من «وايتسوكس».

ـ هذا رائع يا حبيبى.

ـ الم يصب بأذى؟

ـ لا يا جيرى.. لا تتكلم بعد.

ـ وجدتى الم تعد تبكى...

ـ لا يا حبيبى...

ـ ارجوك ان تفرحيها..الن تفعلى.؟

ـ اجل يا حبيبى...

ـ وانا لم اعد اخاف من جدتى...

وتلاشى صوته ليستغرق فى النوم، والتفتت غاى لترى ان الجده العجوز كانت تقف فى منتصف الغرفه وعيناها ثابتتان على الطفل الصغير. ولشده دهشتها وجدت ان عيناها مغرورقتان بالدموع. ثم استدارت العجوز وخرجت دون ان تقول كلمه واحده.

ولحقت بها غاى الى غرفه المكتبه وقالت لها:

ـ هل لديك مانع فى استخدام الهاتف الى لندن؟ فعلى ان اقول لهم فى المسرح اننى لن استطيع العوده هذا الأسبوع.

ـ بالطبع.

ـ واستدارت لتغادر الغرفه:

– ارجوك لا تخرجى.. ليس لدى شىء خاص اقوله.

وجلست المرأه المسنه قـرب النار، واتصلت غـاى بجـاك هالسى.ووجدت انه علم من مساعدتها ما حدث. ويعلم ان عليها ان تغيب قدر ما تشاء.. ووقفت غاى تنظر الى السيده هارتنغتون وبعد تردد قالت:

– سيدة هارتنغتون.. لقد كنت فظة معك ليلة أمس.. وقلت أشياء لا يجب أن أقولها.

– لم تقولي شيئا لا يتوجب علي سماعه.

– ليس من طبعي أن أكون قاسية.. وما كان على أن أقول تلك الأشياء عن سيمون.. فأنت والدته و..

– إننى أستحق كل ما قلتيه.

وبدت لها حماتها فى وضح النهار، أكبر عمراً وتعبة. وعلمت غاي أن كل كلمة قالتها كانت عذاباً على تلك الروح الشموخة الحساسة. فتقدمت منها بسرعة ومدت يدها:

– أرجوك.. لا تكونى تعيسة هكذاً. لا يزال جيري هنا. معنا كلينا.. ونحن معاً نحبه.. كما أحببنا سيمون، وربما يوماً

ما يمكن أن نكون صديقين.

ـ غابريلا... أنت كريمة الأخلاق بشكل لا يصدق.

عشية الأثنين عادت غاى إلى لندن، ورأساً إلى المسرح.. وكانت فكرة السيدة هارتنغتون أن تكمل عملها، على الأقل حتى نهاية العمل بالإستعرض الحالى. وفى هذه الأثناء عليها أن تقضى كل نهاية أسبوع فى القصر.. وبدا لها غريباً أن ترغب حماتها بها فجأة... وأن تتعلق بها.

ولم تجد أى خبر عن شيلي.. صمته لم يكن غريباً عليها. وعلمت إنه فى بيته فى الريف وإنه حضر جنازة سانشيا، وأملت أن يتصل بها فى المسرح. أو أن يحاول أن يراها. ولكن الليلة مرت دون أى إتصال منه.

ومضى على عودتها إلى شقتها ما يقارب الساعة عندما دق جرس الباب، لا بد إنه جاك.. ولكن شيلي هو من كان هناك. وقال:

ـ يا أعز الناس.. هل يمكن لك أن تسامحينى؟ كان يجب أن أتصل بك قبل الآن. لا بد إنك كنت تتعذبين لأجل جيري. ولكننى كنت أستقي أخبارك من سيمور.

– لم.. أكن.. أتوقع رؤيتك. قبل الآن.

وأصبحت بين زراعيه. وخبأت وجهها في صدره، وتركت حرارة قربه منها تشفى حزنها. وضحك بعد قليل..

– وهكذا لقد عادت العجوز إلى عقلها!

– أحياناً يحتاج المرء لصدمة كبيرة كي تعيده إلى واقع الحياة. وأنا أسفة لها.. لقد كانت أسوأ عدو لنفسها!

– أنت أروع شخص متسامح يا حبيبتى.

– ألا نحتاج للتسامح أحياناً.

– حبيبتى.. أنا لازلت أنوى الذهاب إلى أميركا لثلاثة أشهر. هناك أعمال عائلية بحاجة لتوقيعى.. ولكننى سأعود، و... هل ستنتظرينى؟

– طوال حياتى لو اضطررت.

وبقيا معاً، يتحدثان عن الماضى والمستقبل لمدة طويلة، وعندما وقف ليخرج أخيراً، نزلت معه السلم إلى المدخل الخارجى وعلى الطريق قال لها:

– سوف تحزن السيدة هارتنغتون عندما نتزوج.

ـ لا أظن هذا، بطريقـة مـا. ولكننا سنحـاول قطع ذلك الجسر عندما نصل إليه. على الأقل إنها تعتقد الآن إننى لم أكن أبداً ما حاولت بيرسونز أن تتهمنى به. وبيرسونز تركت العمل عندها... وقالت أن والدها قد أصبح عجوزاً، وعليها أن ترعاه.. ولكننى أظن أن الغيرة منى هى التى دفعتها لترك العمل... إذ لم تحتمل فكرة أن السيدة سامحتنى...!

ـ هذا أفضل لها، ولنا. وأنا أشعر بالأسى على سيمور، إنه يحب الأرض التى تمشين عليها.

ـ أعلم هذا.. ولكننى لا أحبه.. بل أحبك أنت.

ـ والسماء وحدها تعرف لماذا يا حلوتى.

ـ السماء هى من ترتب هكذا أمور.

ـ عمت مساء يا حلوتى.. سأعود إليك وقت الغداء.

ـ عمت مساء يا أعز الناس.

وفتح الباب وخرج. وقبل أن يختفى خلف المنحنى استدار ليلوح لها بيده. وصعدت السلم إلى شقتها.. وهى تعلم أن وحدتها قد أنتهت.. وأن هذه مجرد البداية...